المجلد الخامس عشر ١٧٩ و ١٨٠ الجزء ١١ و ١٢

# مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٣٧م

شعبان و رمضان سنة ١٣٥٦ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي



قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٥٠ قرشاً سوريا
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٤٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

| | | | |
|---|---|---|---|
| من السنة الاولى الى السادسة ، | ثمن كل سنة منها | في الداخل | ٢٥٠ |
| « السابعة الى الثانية عشرة | « | « | ٣٠٠ |
| « الاولى الى السادسة | « | في الخارج | ٤٠٠ |
| « السابعة الى الثالثة عشرة | « | « | ٢٢٥ |

مطبعة ابن زيدون * بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

# نهضة العرب العلمية

# في القرن الأخير

## محاضرة الأمير شكيب أرسلان

بسم الله الرحمن الرحيم

### تمهيد

لقد تكلمنا منذ أيام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيرهم في طريق الاتحاد فيما بينهم اقتداء بغيرهم من الامم اللائي كن مفككات مبعثرات ، فما زلن يسعين في الانضمام إلى أن أصبحن كتلة واحدة . ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان المجمع العلمي [1] الذي هو المنبر الطبيعي للمباحث العلمية كما اخترنا النادي العربي منبراً للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه ، وإنما كان الفرق بين البحثين أن الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه إلا بالمقدار الذي تسمح به المصلحة ، وأن الآخر علمي بحت يقدر أن يستقصي فيه الباحث ما شاء دون أن يتعرض لمحذور أو يعرض امته لضرر ، وبهذه المناسبة أعلن أني آسف بل جد آسف من أن أرى بعض اخواننا معتقدين

---

(١) من غريب الاتفاق أن يلقي الامير العلامة هذه المحاضرة الجامعة في المجمع العلمي في المكان الذي اجتمع فيه لأول مرة في مقتبل شبابه بمفتي دمشق الشيخ محمد المنيني الذي كان يقطن يومئذ في المدرسة العادلية التي كان له حق التولية عليها يومئذ .

أن الانسان إذا حاضر في باب السياسة وجب عليه أن يفرغ جعبته من أولها إلى آخرها ، وأن يجهر بكل ما يدور في خلده كما لو حاضر في باب العلم ، فهذا لا شك مذهب من يسميه الافرنج « بالولد الهائل » ومن ليس في الواقع جديراً بأن يطرق باب السياسة أصلاً بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب ، فنحن لا نرضى أن نكون من الأطفال الهائلين ولا من الذين لا يعرفون الى أين يذهب الكلم ، بل نحن ولله الحمد من أمة اشتهرت بالمرونة والدهاء وسرعة اللحظ وقد جاء في أمثالها : اللبيب من الاشارة يفهم ، ولقد كان هاديها الأعظم صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورّى بغيرها ، ومنا الذي يقول :

ومن لم يصانع في امور كثيرة     يضرس بانيباب ويوطأ بمنسم

وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه أنه أشعر العرب لقوله : ومن ومن ، ثم أبدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فأقول :

منذ عشر سنوات ( أي سنة ١٩٢٧ ) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف الذي انتهت اليه رئاسة المجلات العلمية أن أكتب الى المقتطف شيئاً في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الأخيرة ، فكتبت يومئذ فصلاً ظهر في أجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار اليه كثيراً وقد بدأته بما يلي :

لا حاجة بنا الى القول بأن أجلى مجالي هذه النهضة كان في العلم والتعليم ، وعندي انه لا نهضة للامم سوى النهضة العلمية فاذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ ... آخذاً بعضها برقاب بعض . فاذا قلنا إن الشرق الأدنى نهض نهضة علمية كفينا تعداد سائر مظاهر نهوضه ومعارج رقيه ، لأن العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول إلى داخل البناء ، وكل نهضة لا يكون ظهيرها العلم فما هي إلا ساعة وتضمحل ؛ وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق أن تذكر بالقياس إلى معالي الامم الراقية ، واننا لا نبرح متخلفين بمساوف شاسعة عن أمد أوربة وأميركة واليابان ، فلماذا نشغل أنفسنا بما لا يشغل حيزاً في التاريخ العام ؟ وعلى هذا نجاوب أنه ليس العلم متعلقاً بالكمال

وحده ، ولا البحث موقوفاً دائماً على ما بهر النهى وبلغ سدرة المنتهى ، وإنما العلم هو ما تناول الدرجات كلها الدنيا منها والقصوى ، والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها إلى بعض ونسبتها إلى الوقت ، ثم اننا إذا تحرينا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتهيأ لاوربة أن تجتازه قبلاً في أطول جداً من هذا الردح من الدهر ، وذلك انه من الطبيعي أن يسهل على المتأخر ما لا يسهل على المتقدم ، لأن المتقدم قد يضطر أن يمهد الطريق ويسير ، وأما المتأخر فما عليه إلا أن يلحقه ويسير على طريق مذلل أمامه .

## محمد على الكبير مؤسس النهضة

فالنهضة الشرقية العربية — نسميها بالعربية إخراجاً لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الادنى بجذائنا — قد بدأت في الواقع منذ أكثر من مائة سنة لعهد محمد علي عزيز مصر فهو أول من لحظ الخطر الحائق من جراء جموده على أساليب العمران القديمة وجعل نصب عينيه حَذْوَ الغرب في أساليبه الجديدة حتى يتأتى للشرق أن يقاتل الغرب بسلاحه ويدفعه عنه ويستقل بنفسه ، إذ كانت سنة الله منذ وجد العمران على سطح هذه الكرة أنه كلما تقوى جانب منها سطا على الآخر واجتاحه وضرب عليه الذلة والمسكنة .

فمحمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية ، وأول ما استنشق السوريون ريح الحضارة الحديثة إنما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ، ثم انكفأ ابراهيم باشا إلى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الانتباه ونزعة التجدد ، وجد السوريون لا سيما أهل الساحل منهم ينشدون أسباب المدنية الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية ، وأنس المرسلون الاميركيون هذا الاستعداد في أهل سورية فأسسوا في بيروت كليتهم

الشهيرة التي كانت النبراس الاول الذي استضاءت به سورية ، ولا يزال هذا النبراس يزهر في آفاق الشرق الى يومنا هذا . ورأت امم اخرى (كالفرنسيين والالمان والطليان والروس) ان ارض سورية قابلة جداً لبذور المعارف فبثوا فيها المدارس والكتاتيب وكل ذلك كان يبدأ في بيروت ثغر الشام البسام ، ففي بيروت والحق يقال ابتزغ زرع العلم العصري وأخرج شطأه ثم أنبت في جميع الشامات ثم فيما جاورها واستغلظ واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوربيين انفسهم ، واضطرت الدولة العثمانية ان تفتح المكاتب الرشدية والاعدادية في سورية ، وأن تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها ألوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية أو عدلية ، ومنهم أطباء وصيادلة ، ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية وامتازوا بين الأقران . ان ضباط العرب في العراق وسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب (بانغالتي) في الاستانة ، وقد يزيدون على ثلاثة آلاف ضابط فيما يقال .

ومع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا الكلية الاميركية ولا الكلية اليسوعية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة ، لا ينكران مصر كانت ميداناً لجياد القرائح السورية ، وأن أنبغ الذين تخرجوا في بيروت إنما ظهروا واشتهروا وتعلقت قناديلهم بمصر ؛ هذا كما ان لمصر على الشام فضل تخريج عدد لا يحصر من أبناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخريج عدد كبير من أطباء سورية بالقصر العيني ، فما زال كل من القطرين المصري والشامي يشد الواحد منهما الآخر في كل ضرب من ضروب الرقي العقلي ، وقلما جد في أحدهما شيء إلا سمعت رجع صداه في الآخر . على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد ذر قرنها منذ قرن فأكثر لم تسر هذا السير الحثيث إلا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدها كاتب هذه الاحرف بجميع صفحاتها ، وذلك لاني بدأت بالكتابة في الصحف وبمرافقة الحركة العلمية في سيرها منذ ٢٥ سنة متوالية ، فلي الحق إذاً بان أدعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخل فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في

مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون أن يتخلف يوماً واحداً .

## الصحافة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من أقوى عوامل هذه النهضة بما أثارته من الحركة الفكرية ونقلت من أخبار الغرب الناهض الى أهل الشرق النائم ، وقد كان بحسب معلوماتي ، وربما أكون مخطئاً في بعضها ، أول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بعهد محمد علي ، ولكن بقيت سورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ، ويقال ان اول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة « حديقة الاخبار » أنشأها خليل افندي الخوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٧٦٠ ، ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد ، ولم يلبث ان نشر جريدة أسبوعية باسم الجنة ، ثم جريدة يومية باسم الجنينة ثم مجلة شهرية باسم الجنان ، وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » ، و كان اليسوعيون قد أصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاثوليكية ، ثم أصدر القس لويس الصابونجي جريدة النحلة ، واصدر غيره جريدة اسمها النجاح ، واصدر الامريكيون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية ، ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون ، وكانت تصدر بادارة الشيخ عبد القادر القباني ، وقد تولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي ، وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة ، فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع ، وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كان طبع الكتب العربية منحصراً في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر ، وكانت قد صدرت في الاستانة في اثناء حرب القريم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك بامر الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير ، وقد وقعت إلي عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حرب القريم

وغيرها من الاخبار ، ومما اتذكره انه كان عند ذكر خديوي مصر يلقبه بسعادة عزيز مصر ، واظن ان جريدة مرآة الاحوال هذه هي الجريدة العربية الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية ، وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاستانة الى اوربة على اثر حادثة جرت معه ، وقيل فيها انه اختلس مالاً للدولة فلاذ بالفرار ، وكان فارس احمد فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاستانة وانشأ جريدة « الجوائب » المشهورة فكانت في وقتها أشهر جريدة عربية في العالم ، وكان لها مشتركون في جميع الاقطار الاسلامية ، نظراً لبراعة كاتبها احمد فارس المعدود من اكبر كتاب القرون الاخيرة ؛ واما رزق الله حسون فبعد ان فر الى اوربة نشر كتاباً تحت عنوان « النفثات » نال فيه من الدولة العثمانية ، ومن صاحب الجوائب ، فاشار هذا إلى كتاب النفثات بقوله : « كان حسون لصّاً وله سرقات ، فانقلب صلاً وله نفثات » .

واظنني غير مخطئ اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة أخرى في مصر باسم وادي النيل ، وربما يكون قد صدر في مصر جرائد أخرى لم أسمع بها ، ولست محاولا في هذه العجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتواريخ صدورها ، نما انا أذكر الان اشهرها على سبيل التمثيل وأقول : انه لما انتشرت جريدة الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت عاملاً قوياً من عوامل النهضة العربية الادبية ، وصار صاحبها يطبع في الاستانة من نفائس الكتب العربية التي كانت مجهولة ، والتي اطلع عليها في خزائن كتب القسطنطينية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها بالطبع الجميل ، وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية عن خدمة مطبعة بولاق ، واني قد ادركت ، وانا ابن ثلاث عشرة سنة أو أربع عشرة سنة ، عهدَ احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال ، وقد بلغ من العمر عتياً ، يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ، ومن شاء ان يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن

العربي ، فليراجع مجموعة كنز الرغائب في منتخبات الجوائب فهي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن أن يستغني عنه من أراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ — ١٨٨٠.

## الحركة العلمية

ولنعد الى سير الحركة العلمية في سورية فنقول : انه إلى حد سنة ١٨٨٠ كانت الجرائد منحصرة في بيروت لا تتعداها إلى غيرها من مدن سورية ، ولم يكن في دمشق سوى جريدة رسمية للولاية باسم ( سورية ) وبعد ذلك بكثير أصدر مصطفى واصف جريدة اسمها ( الشام ) ، وبعده أصدر الاستاذ كرد علي جريدة سياسية في دمشق اسمها ( المقتبس ) ، وكذلك كانت جريدة رسمية لولاية حلب باسم ( الفرات ) ، وكل من جريدتي سورية والفرات كان نصفها بالتركي والنصف الآخر بالعربي وقلما كانت تنشر شيئاً خارجاً عن الأخبار الرسمية . وكانت في بغداد جريدة رسمية اسمها ( الزوراء ) على هذا النمط أيضاً . وأما بيروت فكانت لا تزال على تقدمها في طريق العلم والعرفان ، وأول مدرسة داخلية في بيروت كانت المدرسة الوطنية التي أسسها المعلم بطرس البستاني ثم أخذت كل طائفة من الطوائف المختلفة التي في ساحل سورية تؤسس مدرسة داخلية في بيروت ، فكانت للروم الكاثوليك مدرسة يقال لها ( البطريركية ) وللموارنة مدرسة يقال لها ( الحكمة ) وللمسلمين مدرسة يقال لها المدرسة ( السلطانية ) تولى ادارتها مدة من الزمن العلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي صاحب الرسالة الحميدية في التأليف بين العلم والدين ، و كان اليهود أيضاً أسسوا مدرسة داخلية باسم المدرسة ( الاسرائيلية ) كان يديرها زاكي كوهين .

وكان اليسوعيون قد أنشأوا الكلية ( اليسوعية ) مناظرة للكلية الامريكية؛ وكان في لبنان مدرسة فرنسية في كسروان يقال لها ( مدرسة عينطورة ) انتفع منها كثير ممن اشتهروا في اتقان اللغة الفرنسية ، ثم شرع أساقفة الموارنة

يؤسسون مدارس لأبناء طائفتهم فكانت مدرسة ( قرنة شهوان ) ومدرسة (غزير) لبني زوين ومدارس أخرى متعددة ، وقد كان للموارنة من قبل هذا مدارس قديمة أكليريكية مثل مدرسة عين ورقة ومدرسة مارعبدا هرهريا ومدرسة مار يوحنا مارون ، وكان للكاثوليك مدرسة في الشوير ، وقد اطلعت على مطبوعات قديمة ترجع إلى مئة سنة أو أكثر جرى طبعها في كسروان بمطابع للموارنة منها مطبعة دير سيدة طاميش ، وكان الموارنة من القديم يطبعون بالعربية والسريانية .

ولا يجوز أن ننسى المدرسة التي قام بانشائها الامير ملحم أرسلان بمساعدة سعيد بك تلحوق لطائفة الدروز في قرية عبية ، فقد كانت من أقدم مدارس لبنان يرجع تأسيسها الى سنة ١٨٦٢ .

وكانت تقبل الطلبة مجاناً لاعتمادها في نفقاتها على الاوقاف التي ألحقها بها الأمير المشار اليه ، ولما تولى قائمقامية الشوف ابن عمه الامير مصطفى زاد الاعتناء بها وانتدب لها من الأساتذة مثل العلامة الشيخ أحمد عباس البيروتي وأمثاله ، وهي هي نفس المدرسة التي يشرف على ادارتها الآن الاستاذ عارف النكدي مدير العدلية في الدولة السورية بما اشتهر به من الدراية والأمانة وعلو الهمة .

ثم نقول : انه كان ازدياد عدد الجرائد متساوقاً مع ازدياد عدد المدارس فظهرت في بيروت بعد الجرائد المتقدم ذكرها جريدة لسان الحال لصاحبها خليل سركيس وجريدة التقدم التي كان يتولى تحريرها أديب اسحق الكاتب المشهور في وقته ، وجريدة المصباح التي أنشأها المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة ، وعهد بإدارتها وتحريرها إلى نقولا أفندي النقاش من أعضاء مجلس الامة العثماني ؛ وإلى بولس زين من ادباء الموارنة ، وكانت مجلة المقتطف قد صدرت في بيروت لصاحبيها العلامتين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر ومن أول نشأتها كانت مجلة راقية حافلة بالفوائد العلمية والصناعية والتاريخية واللغوية .

ومما لا جدال فيه ان للمقتطف أثراً بليغاً في عموم النهضة العربية ولاينكره إلا كل مكابر ـ ومن مساعي العلامتين الشهيرين صروف ونمر تأسيس مجمع علمي

في بيروت سموه المجمع العلمي الشرقي قد ضم نخبة العلماء والادباء الذين كان يشار اليهم بالبنان في ذلك الوقت ، ولم يكن هذا المجمع أول مجمع علمي في بيروت بل قد سبقه جمعية علمية تأسست قبل ذلك بنحو من عشرين سنة ، كان رئيسها الأمير محمد الأمين أرسلان ، وكان من أعضائها الشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الأحدب والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف والسيد حسين بيهم وسليم أفندي زمضان وغيرهم من علماء ذلك الوقت وأدبائه .

وفي نواحي سنة ١٨٨٤ فيما أتذكر كان الشيخ عبد المجيد الخاني الاديب الدمشقي البارع جاء إلى بيروت فذكر ما رآه فيها من الرقي الفكري وسرد اسماء جرائدها نظماً فقال :

ثمرات مقتطف الجنان بشيرها　　بلسان مصباح التقدم قائلُ
ظل المعارف وارف في أرض بيرو　　ت ورهط الفضل فيها قائل(١)

ثم أنشأ علي بك ناصر الدين مجلة اسمها الصفاء صارت فيما بعد جريدة سياسية ولا تزال إلى هذا اليوم قائمة حق القيام بخدمة العلم والادب ، وقد كان لي فيها أول مقالة صدرت من قلمي وذلك سنة ١٨٨٥ ، وأصدر عبدالقادر افندي الدنا جريدة باسم بيروت كان يكتب فيها الاستاذ البليغ السيد مرتضى الجزائري ابن أخي المغفور له الامير عبد القادر .

## ثمانون جريدة في سورية

ولكن عدد الجرائد لم يزدد هذا الازدياد الرائع إلا بعد إعلان الدستور العثماني ، ومن قبله صدرت جريدة طرابلس التي كان ينشئها الشيخ حسين الجسر ، ولم يكن جريدة سواها تصدر في غير بيروت من مدن سورية إلا انه لما اعلن الدستور العثماني وتقررت حرية الصحافة أخذت الجرائد تنتشر بسرعة عظيمة فلما نشبت الحرب الكبرى كان ينشر في سورية وفلسطين ثمانون جريدة

(١) الاولى من القول والثانية من القيلولة .

موزعة بين بيروت ولبنان ودمشق وطرابلس واللاذقية وحمص وحماة وحلب وصيدا وحيفا ويافا والقدس ، وكانت تظهر في هذه البلاد مجلات شهرية واسبوعية لا تقل عن بضع عشرة مجلة ، ولا نجد لزوماً لسرد أسماء جميع هذه الجرائد وهذه المجلات . وهذا أول دليل على سرعة الرقي العلمي في سورية ، وليس في الكلام أفصح من الأرقام ، فوفرة الجرائد دليل على وفرة عدد القراء ، ووفرة عدد القراء دليل على صدق عمل المدارس ، نعم انه لا يزال عدد الاميين كثيراً في هذه البلاد وربما بلغ مع الأسف ٦٠ بالمئة ، ولكن المظنون بحسب ما نراه من إقبال الأهلين على تعليم أبنائهم أنه لا يمضي عشر سنوات حتى ينزل عدد الاميين الى ٢٠ بالمائة . وقد كان في بيروت بضع عشرة مطبعة فتضاعف هذا العدد مرتين وثلاثاً ، وتأسست مطابع كثيرة في سائر المدن السورية ، وليس عمل هذه المطابع كله منحصراً في طبع الجرائد بل هي تقوم بطبع الكتب التي لا تطبع إلا إذا كان أصحاب المطابع يجدون لها عدداً كافياً من المشترين . وان مكانة الصحافة الآن في سورية ولبنان بالقياس إلى عدد أهلها لا تقلُّ عن مكانة الصحافة في اوربة ، فاما في مصر فما لاشك فيه ان الصحافة أرقى منها في سورية لأن ثروة مصر أعظم من ثروة سورية بكثير ، وقد كان في أثناء ثورة عرابي باشا أي سنة ١٨٨٢ يصدر في مصر بضع جرائد لا غير منها الاهرام واللطائف والمفيد وغيرها ، فما زال عدد الجرائد يرتقي إلى أن تضاعف مراراً ، وان بعض جرائدها اليومية تصدر بثماني صفحات أو ست عشرة صفحة . ومنها جرائد مصورة كثيرة وربما تطبع الواحدة من جرائد مصر الكبرى من ٣٠ إلى ٤٠ الف نسخة وقد أكد لي أحد الأخباريين الاوربيين الذين يراسلون الاهرام من امهات الجرائد المصرية أن هذه الجريدة لو وضعت في جانب صحف باريس في الاتقان وسعة النفقات وكثرة القراء لكانت معادلة لأحسنها .

ولما كانت الامثال أحسن مظهر لحقائق الاشياء وأبلغ مؤثر في النفوس رأيت الآن إيراد مثال وقع معي ، وكنت قد ذكرته في مجلة المقتطف ، ومنه

يتبين الفرق الهائل بين حالة الصحافة في مصر منذ ٤٠ سنة وحالتها منذ عشرين سنة :

قلت في المقتطف : اني كنت زرت مصر سنة ١٨٩٠ ، وكنا نجتمع في مجالس الامام الشيخ محمد عبده ، وأكثر ما كنا نسمر عند سعد باشا زغلول وهو يومئذ سعد أفندي زغلول وكان من المحامين المشهورين بمصر ، وكان ينتاب تلك الحلقة شيخ شخت الخلقة اسمه الشيخ علي يوسف ، إذا أتى جلس في آخر المجلس ساكتاً ولبثا كثر المجلس مستمعاً تكاد ترثى له لضعفه ولمسكنته ، وكان قد بدأ باصدار جريدة اسمها المؤيد كانت تظهر مرتين بالاسبوع وهو يعجز أن يجعلها يومية إلا أن هذا الرجل على ضؤولة جسمه كانت بادية عليه سيماء الهمة والعزم فزرته مرة في مطبعة المؤيد فرأيته جالساً على مقعد رث لا يسع أكثر من ثلاثة جلوس بعضهم ملزوز إلى بعض ، وأمامه منضدة بدون غطاء عليها من بقع الحبر ما يهول الناظر وهو يعالج تحرير مقالته في دخول العام الهجري الجديد حينئذ ، ولا يعرف كيف يصوغها و كانت بجانب الغرفة غرفة ثانية فيها المطبعة ، وبين الغرفتين باب مفتوح وأنا من مكان جلوسي أرى منضدي الحروف من خلال ذلك الباب يصفون الحروف ، ثم اني رأيت الشيخ علياً في تعب زائد مع مقالته هذه عن الحول الجديد ، وهو يكتب ويطلس ويمحو فقلت له : لو قلت كذا وكذا ... فأجابني : بالله عليك تكتب أنت هذه الافتتاحية فكتبتها أمامه ، هذا وبعد ٢٠ سنة من ذلك العهد جئت إلى مصر ،

## المؤيد تطبع ٣٠ الف عدد

وأنا ذاهب إلى حرب طرابلس فماذا وجدت ؟ وجدت جريدة المؤيد من أعظم الجرائد اليومية في مصر تطبع في كل يوم من ٢٠ إلى ٣٠ الف نسخة ، ووجدت إدارة المؤيد تكاد تكون قصراً من قصور الامراء فيها الزرابي المبثوثة والطنافس الحريرية الفاخرة بدلاً من ذلك المقعد الحقير ، عليه ذلك الغطاء

القديم من الشيت بدون حشوة ، ووجدت مطبعة بخارية من أكبر المطابع كان صاحب المؤيد اشتراها بخمسة آلاف جنيه ، مع أن تلك المطبعة القديمة التي رأيتها من قبل ما كانت لتساوي ١٠٠ جنيه .

ثم وجدت الشيخ علي يوسف نفسه من أكتب كتاب مصر وأسيلهم قلماً، فضلا عن اني وجدته عيناً من أعيان مصر وأشهرهم ذكراً، ولم يغفل الشيخ عن أن يذكرني بزيارتي الاولى عندما كان على تلك الحالة الرثة ، وأن يقابل بها حالة الترف التي رأيته عليها يوم زيارتي الثانية ، فهذا المثال البارز كاف لقياس درجة الرقي الفكري في الشرق (١).

## انتشار الصحافة في العالم الاسلامي

ولقد كانت الصحافة العربية فيما مضى منحصرة في القطرين المصري والشامي فصارت الآن منبثة في جميع الأقطار العربية ، ففي العراق بضع عشرة جريدة ومجلة منها ما هو في بغداد ومنها ما هو في البصرة ، وكذلك ظهرت جرائد في الحجاز قد كان أولها جريدة القبلة في زمن الملك حسين ، ولما استولى ابن سعود على الحجاز استبدل بها أم القرى ، ثم ظهرت جريدة اسمها صوت الحجاز في مكة وجريدة ومجلة في المدينة المنورة ، وصدرت جريدة الايمان للحكومة اليمانية في صنعاء ، وصدرت جرائد عربية وراء البحار أشهرها جريدة حضرموت في جاوة ، كما انه يوجد في الهند مجلة عربية اسمها الضياء للاستاذ مسعود الندوي .

أما في المهجر فان للعرب نحواً من ٣٠ جريدة ومجلة : منها ما هو في أمريكة الشمالية وما هو في أمريكة الجنوبية ، وفي المهاجر العربية هناك من الكتاب

(١) لا حاجة بنا الآن إلى سرد أسماء الجرائد المصرية الكثيرة ولا إلى سرد أسماء الجرائد السورية الصادرة في دمشق وحلب وبيروت وفلسطين ولا إلى ذكر المجلات الشهيرة كالمقتطف والهلال والرسالة وأمثالها فان الأعلام الشهيرة لا تعرّف ولا تحتاج الى تعريف .

والشعراء والادباء والأطباء والفلاسفة نفر تفخر بهم أوطانهم ، وهم جزء متمم للعالم العربي الادبي لا يتم إلا بهم ، واني اشبه الجاليات العربية في وسط هاتيك الامم الاجنبية التي تحصى بمئات الملايين بجزائر عربية صغيرة في أوقيانوس من العجمة لانهاية له ، وقد احتفظت مع ذلك هذه الجزائر الصغيرة بلغتها العربية وآدابها وأذواقها ومنازعها ومشاربها ، وهذا لعمري برهان الاصالة والنبالة وعلو الهمة ، فان الذي يخجل بوطنه وقومه ليس بانسان ، وفي نيويورك شارع كبير خاص بالعرب تجد فيه على أبواب المخازن العناوين العربية فوق الانكليزية ، وتنظر المطاعم العربية التي تطهو من المآكل الشرقية المتنوعة ما يكون قد درس بتمامه في البلاد العربية الأصلية .

وانك لتسمع الموسيقى ثمة العربية كيفما توجهت سواء من المغنين أو من الآلات الحاكية ، وإذا نظرت إلى النوافذ وجدت فيها الأصص من الفخار فيها الرياحين وأكثرها من الحبق الذي يقال له الريحان في دمشق وفي لبنان الحبق ، ويظهر أن العرب يأخذون هذه الريحانة أينما ذهبوا في الأرض ، فأني قد وجدتها بكثرة في اسبانية وهي حافظة اسمها العربي فيقول لها الاسبانيول « هبقة » أي حبقة ، ومن غرائب ما سمعته عن اعتصام السوريين بعاداتهم القومية وهم في المهجر أن كثيرين منهم يسكنون في حارات على حدة ، وربما بنوا قرى منفردة لأنفسهم ، وذلك ليكونوا أحراراً في ممارسة عاداتهم التي كانت لهم في بلادهم الاصلية ، فاذا حصلت أعراس عندهم حسبتها واقعة في نفس سورية بما فيها من الأغاريد والأناشيد والزغاريد وما يقال له في لبنان «التراويد» ، وقد حضرت في نيويورك عرس فوزي بك البريدي من زحلة ، وقد اجتمع فيه أبناء العرب فخلت نفسي في زحلة أو في أية بلدة من لبنان وكذلك قيل لي انهم في الاماكن التي يسكن فيها السوريون على حدة يمارسون عاداتهم الأصلية بالمآتم فتندب النساء من جهة حول الميت ويندب الرجال من جهة أخرى ، وهم يذهبون ويجيئون وبأيديهم المناديل يهزونها في الهواء وهي ما كان العرب يقولون له المآلي واحدتها مئلاة ، إلا أن بقاء هذه الحالة عند

السوريين المهاجرين لا يعدو العصر الحاضر ، لأن أعقابهم مع الأسف ذائبون إلا ما ندر في الجنسية الأمريكية ، وقلما رأينا من ذراريهم المولودين في أمريكة من يعرف اللغة العربية لا سيما الذين أمهاتهم من هناك ، وقد عالج بعضهم هذه الحالة وحاولوا استبقاء اللغة العربية بين المولودين في أميريكة من أبنائهم ، وفتحوا مكاتب وكتاتيب علمت بوجود اثنين منها في ديترويت مشيغن ، وحدثوني عن غيرهما ولكن هذا العوز لا ينسد مع الأسف ببضعة كتاتيب ، فالسوريون الذين في أميريكة الشمالية يزيدون على ٢٠٠ الف نسمة ، وهم في الأميريكتين جميعاً أكثر من نصف مليون .

وقد قيل لي : إن أعلى المهاجرين العرب همماً من جهة الاحتفاظ بلغتهم هم مهاجرو العرب في البرازيل الذين عندهم مجلات راقية وجرائد مفيدة كما يوجد مثل ذلك في نيويورك ، ولم يقتصروا في البرازيل على بعض الكتاتيب لاستبقاء عروبة بابنائهم ، بل أسسوا هناك لهذا الغرض مدارس عالية ، يدرس الطلبة فيها العربية الفصحى في جانب اللغة البرتغالية التي يتكلم بها أهل البرازيل ، أما إذا بقيت أبواب المهاجرة مسدودة على العرب في أمريكة الشمالية فلا يمضي عليهم هناك أكثر من نصف قرن حتى ينقرض منها مع الأسف كل شيء أصله عربي ، ويصير وجود العرب في تلك القارة خبراً من الأخبار التاريخية .

## الصحافة العربية في شمالي افريقية

ولنعد إلى حديث الصحافة العربية الذي كنا في صدده فنقول : إن شمالي افريقية قد نهض في العصر الحاضر نهضة أكيدة ، وكثرت فيه الجرائد العربية والمطابع وسائر أدوات النشر التي تعول عليها كل امة ناهضة ، ولم يكن في بادئ الامر بغير تونس جرائد عربية مغربية ، وقد تقدم ذكرنا لجريدة الرائد التونسي التي كانت تصدر فيما أذكر من قبل احتلال فرنسة لتونس أي منذ ستين سنة وبعد ذلك صدرت في تونس جرائد اخرى ، وفي يومنا هذا تصدر في تونس عدة جرائد ومجلات راقية كالزهرة والنهضة والصواب والمجلة الزيتونية وغيرها

وأما الجزائر فقد كانت تصدر فيها منذ خمسين سنة جريدة عربية واحدة اسمها المبشر ، وأظنها كانت الجريدة الرسمية للحكومة إلا أن الأهالي منذ بضع عشرة سنة نشروا جرائد متعددة في مدينة الجزائر وفي قسنطينة أتذكر منها « البلاغ » « ووادي تراب » ، وأما اليوم فمن أشهرها جريدة البصائر ومجلة الشهاب ، ولم يقتصر اخواننا التوانسة والجزائريون على نشر أفكارهم في الصحف العربية التي أصدروها ، بل لأجل إمكان تفاهمهم مع الفرنسيس المحتلين لبلادهم وللمطالبة بحقوقهم عمدوا إلى نشر جرائد وطنية عربية اسلامية باللغة الفرنسية وذلك على نسق مجلتنا العربية المنهج الافرنسية الملهج « لاناسيون آراب »[1] ومثل ذلك وقع في المغرب الأقصى الذي كانت السلطة مانعة فيه الأهالي الوطنيين من نشر الجرائد بتاتاً ، خلافاً للاجانب فقد كان ولا يزال يؤذن لهم في ذلك ، بل كان محظوراً إدخال الجرائد العربية الصادرة في البلاد الاخرى إلى المغرب ، وربما عوقب من وجد قارئاً لجريدة كهذه ، إلا أن الاهالي لم يزالوا يعترضون على السلطة من أجل هذا الضغط الشديد على حرية القراءة في بلادهم حتى سمحت من سنوات لبعض الادباء بإصدار مجلة علمية في الرباط اسمها المغرب أذنت لها في الظهور على شرط أن تكون موالية للحكومة فاضطر الحزب الوطني في المغرب إلى إصدار مجلة افرنسية في نفس باريز باسم المغرب Magreb جعلوا ادارتها بيد ضيف سورية الحالي روبير جان لونغة[1] الذي جاهد هو وأبوه كثيراً في النضال عن المسلمين الذين تحت حكم فرنسا وفي منحهم جميع الحريات التي لهم الحق فيها ، فلما ظهرت مجلة مغرب ، وأقبل شبان ذلك القطر العزيز ينشرون فيها باللغة الافرنسية من المقالات القيمة والآراء السديدة ما أحدث تأثيراً عظيماً في نفس باريس ، انتقمت السلطة من تلك المجلة بمنعها من دخول المغرب نفسه ، فأصبحت في المقيم المتعد مع الوطنيين

(1) La nation arabe
(2) Robert Gean Longuet

الذين كانت ترأسهم عصبة العمل القومي ، ومنذ سنتين تمكن السيد محمد ابن الحسن الوزاني من زعماء النهضة الوطنية في المغرب من إصدار جريدة في فاس باللغة الفرنسية سماها عمل الشعب [1] وجعل مديرها افرنسياً حتى لا تتمكن السلطة من تعطيلها ، فلما ظهرت هذه الجريدة وأخذت تناضل عن حقوق الأهلين وتناقش بشدة الصحف الفرنسية الصادرة هناك ، أمرت السلطة بتعطيل هذه الجريدة خلافاً للقانون ، فبقي أهل المغرب يئنون من هذا الضغط إلى أن تولت فرنسة ولله الحمد الوزارة الشعبية في السنة الماضية فراجعتها عصبة العمل القومي في موضوع حرية الاجتماع والكتابة . وما زالت المراجعات مستمرة باصرار الى أن أذنت السلطة لعصبة العمل القومي باصدار جريدتين احداهما بالعربية اسمها الأطلس يتولى تحريرها السيد محمد اليزيدي ، واخرى بالافرنسية اسمها العمل الشعبي [2] يحررها السيدان أحمد بلافريج وعمر عبد الجليل من زعماء الحركة الوطنية المغربية ، وصدرت أيضاً جريدة عمل الشعب للسيد محمد بن الحسن الوزاني ، وجريدة اخرى بالعربية يقال لها الوداد كما انه صدرت في تطوان من المنطقة التي يحتلها الاسبانيول جريدة الحياة للسيد عبد الخالق الطوريس ومجلة السلاح للسيد محمد داود ، وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس واخرى في بنغازي ، ولكن الطرابلسيين يقرؤون الجرائد العربية التي ترد اليهم من الشرق والغرب بلذة زائدة ولا عجب فان علاقتهم من جهة الشرق مع مصر والشام ومن جهة الغرب مع تونس هي علاقات أقطار شقيقة ، وفي زنجبار من شرقي افريقية مطبعة سلطانية من قديم الزمن ، اطلعنا على كتب مطبوعة فيها ، ومؤخراً وصلت الينا جريدة عربية صادرة في جزيرة زنجبار هذه .

فهذه هي لمحة دالة عن الصحافة العربية في الخمسين من السنين الاخيرة

(1) L'action du peuple
(2) L'action populaire

لا نزعم فيها الاحاطة وإنما نجتزئ بالاشارة التي تعطي القارئ صورة صحيحة عن هذا البحث وبالجملة فالصحافة العربية كانت من أعظم عوامل نهضة العرب ولا تزال تتقدم الى الامام ·

## المدارس في العالم العربي

ان الجرائد ليست وحدها هي المقياس الكافي لاجل إعطاء صورة صحيحة عن درجة الرقي ، بل المقياس الاكبر هو المدارس ، فمدينة بيروت مثلاً وعدد سكانها نحو من ٢٠٠ الف نسمة فيها من المدارس والجامعات ما لو قرنته بجامعات أوروبة ومدارسها لم تكن قاصرة عنها ، وربما كانت زائدة عليها إذا روعيت نسبة عدد السكان · وقد كنت منذ ٢٥ سنة في مدينة نابلس التي لم يكن أهلها يزيدون على ٢٥ الف نسمة ، فبحثت عن عدد المتعلمين في هذه البلدة فكانوا ٢٠٠٠ من الأحداث في المكاتب الاميرية ، وأحصينا عدد طلاب المدارس العالية في الاستانة فبلغوا مائة شاب ، فاذا نظرنا إلى عدد أهالي نابلس وجدنا عدد طلاب العلم من أهلها لا يقل عما يجب أن يكون في أية بلاد راقية ، وليس هذا المثال وحيداً في بابه ، بل له أمثلة كثيرة في سورية وان كنت لا أزال أتأسف من بقاء الامية في البلاد الى هذا الوقت أكثر مما كنت أظن وذلك بغلبة البوادي والقرى المفتقرة إلى التعليم ، ولم يكن هذا كله من تقصير الحكومة وفقد ارادة العمل ، وانما للميزانية المالية العمومية دخل في نزول درجة التعليم عما يجب أن تكون ، ومن الغريب ان الامية في مصر لا تزال أكثر منها في سورية بالرغم من ان بين القطرين بوناً شاسعاً في درجة الثروة ، أما تقدم التعليم في سائر البلاد العربية فأكثر ما برز منه للعيان بمدة قصيرة هو في المملكة العراقية لا سيما بعد أن حصلت على استقلالها ، فانه في وقت قصير أنشئت في العراق عدة مدارس عالية كدار المعلمين في بغداد والموصل ومدرسة الطب والثانوية المركزية وعدة مدارس ثانوية متوسطة ، وعدد لا يحصى من المدارس الابتدائية ، وفي العراق المدارس المسماة ( رياض الاطفال )

كثيرة وهي أرقى من أمثالها في سورية ، والفضل يرجع في اتقان هذه الرياض الى المربي العربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري ، ثم قد بلغني أن الكتبية من القاهرة وغيرها يصدرون كل سنة مقادير جسيمة من الكتب المدرسية الى العراق وان هذا يزداد عاماً فعاماً .

أما في سورية فجامعتها العلمية تتألف من كلية الطب وكلية الحقوق والمدرسة التجهيزية الكبرى للبنين ، ومن فروعها دار المعلمين الابتدائية والعالية ، ومدرسة تجهيزية اخرى للبنات وفيها دار للمعلمات أيضاً ، ومدارس ابتدائية كثيرة ، وفي حلب مدرسة تجهيزية ومثلها في دير الزور ومثلها في حماة واخرى في حمص ، ولو كانت الميزانية المالية كافية لقطعت سورية في أقصر وقت أبعد مرحلة في طريق التعليم ، وهذا ما نأمل الوصول اليه في غير بعيد من الزمن ولا سيما بعد أن نالت البلاد استقلالها فانه لا يرجى نهضة علمية إلا بنهضة سياسية فهاتان توأمان دائماً ، وقد بلغني من وزير المعارف الدكتور الكيالي أنه لما ضاقت مكاتب الحكومة في هذه السنة عن استيعاب جميع الاولاد الذين يريد أهلوهم إدخالهم فيها ، أوصى الوزير مديري المدارس الابتدائية بتسجيل جميع من يريد الدخول فيها ، كما أوصى مديري الكتاتيب الاهلية الحرة بأن يقبلوا كل من يأتيهم على أن تؤدي اليهم الحكومة النفقات اللازمة ، فيقظة الامة ولا سيما بعد استقلالها الحديث غير محتاجة الى استدلال .

## المجمع العلمي في دمشق ومصر

ولا يجوز لنا أن ننسى ذكر مجمعنا العلمي هذا الذي كان أول مجمع على نسق اكاديميات اوروبة في الاقطار الشرقية ، فانه يضم نيفاً ومائة عالم شرقي ومستشرق كلهم من ذوي الشهرة الطائرة سواء في الغرب أو في الشرق ، وللمجمع مجلة علمية من أرقى ما صدر من المجلات في العربية وأدقها بحثاً وأحسنها اسلوباً وأجمعها للنوادر وأحفلها بالفوائد ، ولا يستغني متخصص في العربية

إذا أراد جد الاطلاع عليها عن اقتناء مجموعة هذه المجلة منذ صدورها ، وقد سبقت سورية مصر في تأسيس هذا المجمع ، ولكن مصر عادت فسدت هذا العوز بتأسيس مجمعها الحالي ، فكلا المجمعين الشقيقين يخدم هذه اللغة الشريفة وثقافتها بكل ما أوتي من قوة ووسائل . ولذا الأمل بأن يسير المجمعان معاً الى الامام خطوات واسعة ، وان حكومتي القطرين تشد أزرهما بالمال الى الحد الذي يمكنهما من القيام بخدمات جلى للعربية والعروبة كما هو الشأن في أكاديميات الممالك الاوروبية ، فان أمام العرب مهمات عظيمة في إثارة دفائن عقولهم وكشف دارس مدنيتهم والتنقيب عن دقائق تاريخهم لا يقوم بها إلا هذه المجامع العلمية التي هي أيضاً لا تقوم إلا بتوفير أقساطها من الميزانية المالية ، ولست متعرضاً الآن إلى الكلام عما قام به المجمعان الشامي والمصري من الخدمة اللغوية بإيجاد الألفاظ التي تقتضيها حاجة العصر ، وإحياء ما وجد منها في لغتنا بتطبيقه على المعاني المناسبة له ، فان من شاء أن يعرف طائلا من هذا الأمر يقدر أن يراجع مجلات هذين المجمعين .

وإنا نكون غفلنا عن الحق وأهملناه جانباً إذا كنا لا نقول إنه في القرون الأخيرة لولا بقاء الأزهر والأموي والزيتونة والقرويين لم يكن بقي أثر من آثار اللغة العربية فضلاً عن الشريعة الاسلامية ، فهذه المساجد الأربعة هي التي في الدرجة الاولى قد وقت هذه اللغة من الدثور ، وهذه الشريعة من البوار ، وقد كانت الفوضى في القرون الأخيرة المذكورة قد نسفت عمران هذه البلدان إلا بقايا تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد ، وتسلط على هذه الأقطار ولاة أتوا على الحرث والنسل ، وهدموا كل شيء وطمسوا كل رسم ، ومع هذا فقد بقيت هذه المساجد الأربعة بنوع خاص مع مساجد أخرى كانت تجري مجراها تقيم العربية على أركان ، وتصد غارات الجهل عليها وعلى الشريعة بقدر الامكان ، فكيف ثبتت هذه الشريعة وهذه العربية في وسط هذا الزوال . وكيف بقيتا في بهرة هذا الفناء مدة تزيد على أربعة أو خمسة قرون تعاور العالم الاسلامي فيها الانهيار من كل جانب ، ان هذا لعجب عجاب !

ولا شك أن ثبات الشريعة واللغة في وجه هذه الصدمات السياسية التي تدكدك الجبال هو الدليل الكافي على متانة أصولها ورسوخ قواعدهما وغزارة القوة الحيوية التي فيهما . وفي مصر عدا الأزهر معاهد كثيرة للعلم مثل الجامعة المصرية ومدرسة القضاء الشرعي ومدارس الحقوق والهندسة والزراعة مما لا يتيسر لي استقصاؤه الآن ، وإنما أشير إلى نتائجه الباهرة فانه لا يكابر مكابر في أن الحركة السياسية الأخيرة التي جرت في مصر في الشتاء الماضي وانتهت باستقلالها بالرغم من معارضات الانكليز تحت مختلف العلل إنما كانت ثمرة هذه المدارس ، لأن الذين تولوا هذا الامر هم العشرة الآلاف طالب الذين ثاروا في القاهرة ثورة الرجل الواحد وتنجزوا الاستقلال التام لوطنهم تنجز المستميت باذلين من دونه دماءهم بذل السخي لماله .

## أثر الزيتونة والقرويين والاموي

وكما قام الأزهر بالواجب الذي عليه في مصر وكان أشبه بالصخرة العالية التي كانت تتكسر عليها أمواج الجهل والفوضى كذلك كان جامع الزيتونة في تونس وجامع القرويين في فاس والجامع الأموي في دمشق ، ومنها ومن المساجد الاخرى خرج العلماء الأعلام والمصابيح الذين أناروا الاسلام في دياجي ذلك الظلام ، ومن هؤلاء أيضاً خرج أولئك العلماء الوطنيون الذين أرادوا ادخال العلوم العصرية في البلاد والتحقق بمعارف الاوربيين حتى لا يبقى الشرق مقصراً عن الغرب فكانت الجامعات والمدارس العصرية الكثيرة وكان إرسال البعثات العلمية الى اوروبة من أيام محمد علي إلى اليوم .

## النهضة العلمية والدعوة الوهابية

ولا يظن ظان أن الحركة التعليمية في جزيرة العرب قد بقيت كما كانت عليه قبل ، فأما في نجد والحجاز فلا يخفى ان الدعوة الوهابية توجب حمل جميع الناس على التعليم بدون استثناء ، وهو عندهم بمقام الجهاد فترى المعلمين

والفقهاء يجوبون الحواضر والبوادي ويفتحون الكتاتيب للاحداث وربما شرقت قبائل من العرب وغربت والمعلمون معها حتى لا ينقطع التعليم بالرحيل ، فالامية في البلدان الخاضعة لسلطان ابن سعود ستكون نادرة ، ولكن يعترض بعضهم قائلاً :

ان هذا التعليم النجدي لا يساعد الرقي المدني بل هو من النمط القديم الجامد الذي ليس فيه كبير جداء لأهل هذا العصر ، وهذا القول مردود من وجوه ؛ أولا أن النجديين يلتزمون تعميم القراءة والكتابة في البدو والحضر فزوال الامية هو بنفسه درجة عالية من العلم ، ثم انهم يحفظون الأحداث القرآن الكريم ويفسرونه لهم بعد رشدهم ، وأي كتاب حث على العلم والتعليم والسير والنظر أكثر من القرآن ، وأي كتاب قدس العلم والعلماء ونوه بالحكمة والحكماء أكثر من القرآن ٠

## الاصلاح والعمران في المملكة السعودية

ثم ان منزع النجديين في الدين منزع إصلاح وترقية وتنقية ، ومشربه بعيد بالمرة عن الخرافات فهو مشرب إصلاحي مستحب جداً في العصر الحاضر ، وإذا سألت الاوربيين أنفسهم قالوا لك : ان مثل هذا المشرب هو الذي فك قيود الافكار وحل عقال العقول في اوربة ٠ وكان فاتحة عهد الارتقاء ، وكثيراً ما أطلق الاوربيون على الوهابيين لقب ( بروتستان الاسلام ) ، ثم ان هذا الملك عبد العزيز بن سعود امام الوهابيين القائم بتنفيذ مبادئهم لا يقف عن قبول أي علم نافع أو اختراع عصري مفيد ؛ فهو يجهز مملكته بجميع طرق العمران الحديثة ، وعنده التلغراف السلكي واللاسلكي في جميع بلاده ، وعنده التليفون والراديو ، وعنده السيارات الكهربائية تسير في طول البلاد وعرضها حتى صارت تلك الأرض الشاسعة تطوى طي السجل للكتاب ، ومن أعمال ابن سعود اعتناؤه بالصحة العمومية وتعويله فيها على الوسائل العصرية الحديثة ، وقد بدأ يستخدم الطيارات في الجيش ، ولو كانت ميزانيته المالية تأذن له في الانفاق

كما يشاء لما سبقه في هذا الميدان سابق ، ولكانت الادوات العصرية في جيشه لا تقل عن مثلها في أي جيش اوروبي ، ولكن المال قوام الأعمال ، ثم إذا كان المراد من العلم والتعليم هو إيجاد الامنة في السوابل فلا يكون في هذا المعنى أرقى من مملكة ابن سعود لأن الأمن العام ضارب أطنابه في بلاده كلها وواصل الى الدرجة التي يتحدث عنها المؤرخون في الكتب بعد ان كانت تلك الصحاري أشبه بمسبعة تزأر فيها الضواري من كل فج ، وبالاختصار فالوهابيون يقبلون كل إصلاح مالم يصادم الدين ، والعلم والدين لايتصادمان في الحقيقة إلا عند من لم يحسن فهم كل منهما .

## النهضة العلمية في اليمن

أما اليمن فانه يضارع مملكة ابن السعود في أمرين : عموم التعليم والامن الشامل ، فقد بلغني انه لا يكاد يوجد في اليمن قرية تخلو من فقيه يعلم الأحداث القراءة والكتابة ، وانه لا توجد مدينة ولا قصبة في اليمن إلا فيها حلقات تدريس للعلوم اللغوية والشرعية ، فالامية في اليمن نادرة ، نعم لا يوجد هناك من يعتني بالعلوم العصرية إلا نادراً وهي علة قد تزاح قريباً ، لأن العلوم الادبية لا بد أن تثير حركة في الافكار وتجعل نهضة في النفوس ، وهذه من شأنها أن تهتف بنشدان العلوم الطبيعية وذلك كما جرى في مصر والشام وغيرهما . هذا وامام اليمن يحيى بن محمد بن حميد الدين هو بنفسه عالم فاضل متبحر سيال القلم لا يغرب عن باله شيء مما يجب لترقية بلاده ، ولذلك نراه مهتماً بالمدرسة العسكرية التي في صنعاء ، وعنده معمل سلاح صغير شاهدته بعيني انا وزميلاي هاشم بك الاتاسي رئيس الجمهورية السورية والحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وعلمنا أن هذا المعمل يقدر أن يعمل البنادق وعلف البنادق كما يصنعونها في اوروبة ، ورأينا مصنوعات هذا المعمل عياناً ، ولنا الأمل بان تتسع دائرة هذا المعمل ، وأن يتأسس في البلدان العربية معامل أسلحة كثيرة تكون وافية بحاجات

أهلها ، ولا ننسى ان العراق والشام والمملكه السعودية هي في مقدمة الاقطار العربية التي تحتاج إلى مثل هذه المعامل ، لأن على العرب واجباً لا يجوز أن يغفلوا عنه طرفة عين ، وهو أن لا يكونوا عيالاً على اوروبة في التسلح فانه إن أمكنهم ذلك في زمن الحرب استطاعوا أن يدفعوا الأخطار عن بلادهم وخير للأرض أن تستغني بمائها عن مياه غيرها التي يجوز أن تنقطع عنها ·

## الشعر والشعراء

أما اللغة العربية من حيث هي ، فقد طارت في هذه الخمسين سنة الاخيرة بجناحين وصارت إلى جلالها الماضي وعنجهيتها القديمة فكثر في السنين الاخيرة سواد الكتاب والشعراء حتى صاروا يحصون بالمئات إن لم يكن بالالوف ، ونبغ منهم فحول يقدر الانسان أن يلزهم في صفوف المنشئين والشعراء من أهل القرون الاولى للاسلام عندما كانت اللغة في ابان سورتها فلا تنظر في جريدة إلا تجد فيها من النظم الفائق والترسل الرائق لشبان لم تسمع في عمرك باسمائهم ، هذا عدا المفلقين والعباقر الذين سارت بذكرهم الركبان وحفظ الرواة من شعرهم كما يحفظون شعر المتنبي وأبي تمام ، ولم يكن منذ خمسين سنة بمصر والشام والعراق والمغرب معشار العدد الذي نجده في يوم الناس هذا من هذه الطبقة الراقية في الادب منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما قبل ، وكان إذا نبغ شاعر أو برع كاتب ضرب به المثل لتفرده وخلو الجو من حوله ، والحال انه لو نشرته اليوم من قبره ، وعرضته في الجمع لوجدت أمثاله يعدون بالعشرات ، وان كانت لا تزال له طلاوة ، فهذه الطلاوة لا ترتفع به إلى صفوف العبقريين وإنما تجعله في صف المجيدين ، وقد كنا في سورية لا نعرف شاعراً أحسن من نصيف اليازجي اللبناني الذي نبغ في بيروت وصارت له تلك الشهرة الطائرة باستحقاق ، وهو لو وجد في زماننا هذا لما كان إلا واحداً من جماعة ، وكان في بيروت من الشعراء المجيدين عمر الانسي البيروتي يقرأ الانسان

شعره بلذة وكان قبل الانسي واليازجي أمين الجندي وبطرس كرامة كلاهما من حمص ولها قصائد كسبا بها شهرة لا تزال لهما إلى اليوم، ولو انهما عاشا في هذا العصر لم تكن لهما هذه الشهرة بالرغم من إجادتهما، وعلو طبقتهما، وقد سأل الامير بشير الشهابي أمير لبنان في وقته الشيخ أمين الجندي عن المعلم بطرس كرامة قائلاً له: ما نسبة المعلم بطرس اليك في الشعر؟ فأجابه: نسبة الثعلب إلى الأسد، ولم يكن هذا الجواب صحيحاً لان لبطرس كرامة من الشعر لا سيما في الغزل والنسيب ما لا يقل رونقاً عن شعر الجندي، وكان في بغداد ثلاثة شعراء أو أربعة اشتهرت اسماؤهم في بلادنا مثل عبد الباقي العمري وصالح التميمي وعبد الحميد الموصلي وعبد الغفار الأخرس، وكان أكثرهم شهرة عبد الباقي العمري وعبد الحميد الموصلي هنا بسبب مراسلاتهما مع نصيف اليازجي كما ان شهرة صالح التميمي كانت بسبب المناقشة التي وقعت بينه وبين بطرس كرامة، وهذه الطبقة، وإن كانت تعد من الطبقة العالية في الأدب، فان الذين جاءوا بعدها ردوها إلى الوراء فبعد أن كانت من المجلين صارت من المصلين، ألهم إلا إذا حسبنا الشاعر الارزي الذي لا يلز هؤلاء في قوته، ومن قبله ابن معتوق الذي كان يضارع الشعراء الأولين. وأما في مصر فما بدأ الشعر ينهض إلا بنبوغ محمود صفوت وبعده محمود سامي وهو صاحب النهضة الشعرية الكبرى، وقد أجمع مؤرخو الادب على أنه مجدد الشعر العربي في هذا العصر، وأنه الذي أعاد اليه ديباجته الاولى التي كانت القرون الاخيرة لا تعرف منها شيئاً، وما كان شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر الا مبعوثين في عالم الأدب بأنفاس محمود سامي العالية، واليوم لا يكاد يحصى عدد المجيدين من شعراء مصر وأغرب منه نبوغ شعراء في السودان لا يقل شعرهم في الاجادة عن شعراء الأقطار العربية الاخرى، وقد نبغ في تونس في القرن الماضي محمد قباد وهو صاحب تشطير ( أفاطم لو شهدت ببطن خبت ) الذي دخل فيه مدخلاً لا يفترق عن الاصل، والذي له قصائد أخرى جياد، وجاء بعده شعراء في تونس لم أعلم منهم أحداً بلغ مداه، وقد هبت

زيح الأدب في هذا العصر في أرجاء الجزائر والمغرب الاقصى ، وظهر شعراء ومترسلون يمكن ان يضعهم القارئ في صعيد واحد مع شعراء الشرق ، ومهما قيل في ترقي الشعراء في هذا العصر الاخير فأعظم منه قد كان ترقي الكتابة التي لم تتقدم في فصاحة الالفاظ وتنقيح الجمل فقط بل علت ببلاغتها وحسن أسلوبها وتشبعها بالمعاني الكثيرة التي أوجدتها الحركة العلمية الحديثة فاديل من الصناعة اللفظية والسجع الرنان بالمسحة العلمية والانشاء المرسل الملآن ، وهذا النوع من الكتابة هو أصعب أنواعها لمن أراد أن يسمى كاتباً ، ولا نزاع في أن ترقي كل من فني الشعر والكتابة في الأدب العربي قد كان وليد النهضة العلمية العامة التي حملت المتأدبين على مراجعة أحسن ما كتب العرب وخلفوه في زوايا المكاتب فسمت الهمم بسبب هذه النهضة العلمية إلى طبع الكتب التي لا تزال مجهولة ، أو مما ينحصر اقتناؤه في بيوت الأمراء والكبراء فصارت هذه الكتب من مثل ترسل ابن المقفع والجاحظ وأمثالهما مشاعاً بين جميع عشاق الادب ، وكانوا كلما قرأوا كتب الاوربيين شعروا بحاجة الى مادة أغزر من اللغة العربية وأساليب أطلى وفنون أبدع ومجال أوسع فكأن اللغات الاجنبية هي نفسها قد كانت الحافز الاعظم على اتقان العرب المحدثين للغتهم وارتوائهم من معينها ، ولا عجب في ذلك فالعلم يزيد بعضه بعضاً سنة الله في خلقه .

## الفقه الاسلامي وعلماء الدين

هذا ما كان من جهة الادب العربي ، وأما من جهة الفقه الاسلامي فلا نقدر ان نقول انه تقدم الى الامام بل رجع في الحقيقة الى الوراء وذلك باستغناء الناس عنه بعلم الحقوق منذ ترجمت الدولة العثمانية هذا العلم عن قوانين أوربة الى التركية والعربية ، ومن عادة الناس أن يكون اكثر انشغالهم بما ينفعهم في دنياهم ، وليس كل العلم طراز مجالس . نحن أولاء قد أدركنا في أواخر القرن الماضي طبقة عالية من علماء العلوم الشرعية في دمشق مثل الشيخ محمود الحمزاوي والشيخ سليم العطار والشيخ بكري العطار والشيخ سعيد

الاسطواني والشيخ الطنطاوي والشيخ علاء الدين عابدين والشيخ محمد البيطار وأخيه الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الغني الميداني والشيخ محمد الخاني والشيخ جمال الدين القاسمي وغيرهم ، وكان الناس يستفتونهم في النوازل ويعولون على آرائهم في الدين والدنيا ، فلما انتشرت العلوم العصرية ومنها القوانين الاوربية المترجمة التي عملت الدولة بها صار إذا مات واحد من هؤلاء الفقهاء لا يخلفه غيره ، وما زال الامر كذلك إلى ان كادت هذه الطبقة تنقرض بالمرة ، وكذلك كان في بيروت الشيخ محيي الدين اليافي والشيخ يوسف الأسير والشيخ ابراهيم الاحدب ، وفي طرابلس الشيخ حسين الجسر والشيخ محمود نشابة فمات كل هؤلاء ولم يخلفهم أحد ، وصار النبوغ للمحامين الذين تخرجوا في المدارس الاوربية أو في مكاتب الدولة العثمانية ، والمحامون بمصر أكثر منهم بالشام لما في مصر من استبحار العمران .

إلا انه نظراً لوجود الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي في مصر بقي حملة العلوم الشرعية فيها أكثر منهم في سورية ، وكان الواجب على هذه الامة في كل قطر أن لا تهمل هذا العلم الذي هو من مفاخر الثقافة العربية ومن محاسن تاريخها والذي لا يستغني عنه المسلمون في المعاملات الدنيوية فضلاً عن المسائل الاعتقادية .

## الطب والاطباء والصيدلة

وأما الطب فهو من العلوم التي يقوم عليها المشارقة أكثر من غيرهم ويوفقون فيها ، ومن الأطباء الشرقيين من يقيمون الآن في اوربة ويشتهرون بالنبوغ بين أهلها ، وقد كانت الدولة العثمانية من الدول الراقية في علم الطب حتى يقال انها في الدرجة الخامسة بالنسبة الى الدول الاخرى ، وقد نبغ فيها عدد كبير من الاطباء الجراحين يعدون في الطبقة العليا بالنسبة إلى أطباء اوربة وجراحيها أنفسهم منهم أتراك ومنهم عرب ومنهم أروام ومنهم أرمن ، ولا نقدر أن نقول أن سورية متأخرة في حلبة الطب هذه عن غيرها بل اني أتذكر انه لما نشبت الحرب

العامة ، واحتاجت الدولة إلى أطباء لجيشها ساقت إلى الجيش ٢٠٠ طبيب ذي شهادة من جبل لبنان وحده وبقي عدد كبير منهم في البلاد . واليوم قد ازداد هذا العدد على ما كان عليه قبلُ ، وبلغني ان في دمشق وحدها اليوم (١٥٠) طبيباً ، وانا نرى خريجي مدارس الطب من السوريين يتعاطون صنعتهم هذه في مصر والعراق والسودان والحجاز وغيرها ، وما يقال في الطب يقال في الصيدلة التي لها ممثلون كثيرون من أبناء سورية ، وكذلك بدأ كثير من الشبان يدرسون في أوربة علم الجراثيم ( البكتريولوجية ) .

## منافسة سورية للبلاد العربية

وما من علم يجدّ في أوربة إلا أقبل عليه الشرقيون كما أقبل الغربيون وأخذوا منه بنصيب ، فالمباراة إذاً جارية بكل ما يمكن من الهمة ، على أن سورية في علم الطب وتوابعه هي ذات المركز الاول في البلدان العربية ، وذلك لسبقها غيرها الى ورود حياض العلوم الكونية فلا مصر ولا العراق ولا جزيرة العرب ولا إيران ولا المغرب تضارع سورية في هذا الموضوع ، ولكن نحن على ثقة أن جميع البلاد العربية من الآن إلى ثلاثين وأربعين سنة تصير متساوية بعضها إلى بعض في درجة الرقي العلمي

ومن العلوم التي يمتاز بها العرب ، ولا سيما السوريين منهم ، العلوم العددية وقد نبغ الكثيرون ممن لا نقدر على احصاء اسمائهم نذكر منهم على سبيل التمثيل الشيخ محمد الطيبي في دمشق والمعلم بطرس البستاني والمعلم أسعد الشدودي في بيروت وغيرهم .

ولما كان السوريون من أقوى امم الارض على التجارة كان علم الحساب من العلوم التي يتخصصون بها بطبيعة الحال ، وكذلك في مصر لا ينكر ترقي العلوم الرياضية التي مصر من مراكز ازدهارها بل نقدر أن نقول ان المهندسين فيها أكثر منهم عدداً في سورية نظراً لأن الزراعة في وادي النيل أرقى بكثير منها في سورية .

بقي علينا أن ننظر كيف يكون اتجاه الامة العربية في المستقبل من جهة الثقافة ! أتأخذ بالثقافة الغربية ولوازمها ومتمماتها إلى النهاية أم تبقى معتصمة بثقافتها الشرقية الأصلية لا تبغي بها بدلاً ولا عنها حولاً أم تأخذ من الثقافتين معاً وتجعل من ذلك ثقافة خاصة لا شرقية ولا غربية ! هذا سؤال يرد كثيراً على خواطر الباحثين وكل منهم يذهب في الجواب مذهباً، وأظن أن ثقافة العرب المستقبلة ستكون عصرية آخذة من التجدد بأوفى نصيب لكن مع الاحتفاظ التام بالطابع العربي ، وهذه أشبه بما سبق للثقافة العربية في زمن بني العباس وفي زمن بني امية بالاندلس حينما نقل العرب حكمة اليونان إلى لغتهم واطلعوا على علوم فارس والهند فجعلوا من هذه الثقافات الثلاث ومن الثقافة العربية الأصلية ثقافة جديدة عالية كانت أرقى ثقافة في القرون الوسطى ، لكنها كانت زاهرة بطابعها العربي الذي لم يكن يفارقها بحال من الاحوال ، وهكذا ستكون ثقافة العرب بعد اليوم غير جامدة على القديم الذي ثبت للعرب المحدثين وجوب التعديل فيه والاضافة اليه، ولن تكون منسلخة من القديم جاهدة في التبرؤ منه على النحو الذي نحاه الاتراك الكاليون الغالبون على تركية اليوم ، ولكنها تكون ثقافة جامعة بين القديم والجديد مختارة من كل شيء أحسنه مع بقاء الصبغة العربية التامة غير المفارقة للعرب ، وذلك على النحو الذي نحاه اليابانيون الذين اقتبسوا جميع علوم الاوربيين ولم يغب عنهم منها شيء ولا فاتهم من صناعات أوربة دقيق ولا جليل، ولبثوا مع ذلك يابانيين أصلاء في لغتهم وأدبهم وطربهم وطعامهم وشرابهم وجميع مناحي حياتهم ، وحسب العرب قدوة للاقتداء ومثالاً للاحتذاء هذه الامة اليابانية العظيمة التي لا يوجد أشد منها رجوعاً إلى قديم ولا أخذاً منها بحديث .

والآمال معقودة بانه ستكون في الشرق الادنى نهضة عربية علمية تضاهي النهضة العلمية التي رأيناها في الشرق الأقصى.

## لماذا تأخر الشرق الادنى عن الاقصى

وإن كان الشرق الادنى قد تأخر عن الأقصى في درجة الرقي العصري فلم يكن ذلك كما يتوهم بعضهم من جمود الامم الشرقية العربية وتفوق اليابانيين عليهم في حب العلم ونشدان وسائل القوة ، وإنما كان الموقع الجغرافي للبلاد العربية قد عرّضها من هجوم الأجانب وغاراتهم المتوالية لما لم يتعرض له اليابانيون بسبب تقاصي ديارهم وبعد مزارهم بحيث خلا لهم الجو وتمكنوا من أن يتعلموا ويتهذبوا آمنين على حوزتهم ، وهذا فرق طالما غفل عنه الناس ولم يتفطنوا لخطورته ، فحملوا بسبب غفلتهم عنه على الشريعة الاسلامية وجعلوها ظلماً وعدواناً هي المسؤولة عن هذا التأخر ، والمسؤول الحقيقي في الواقع هو الاعتداء الأجنبي المتواصل الذي يتيسر في الشرق الادنى مالا يتيسر في الشرق الأقصى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**شكيب ارسلان**





# الصحافة في طرابلس الغرب

لما اطلع أحد ادباء طرابلس الغرب على محاضرة الامير نشس في جريدة الجزيرة الكلمة الآتية ننشرها في مجلتنا إتماماً للبحث :

« قرأت في عدد ١٥ — ٧٠٥ من مجلتكم الغراء جزءاً من المحاضرة التي ألقاها في قاعة المجمع العلمي الدمشقي أمير البيان عطوفة الأمير شكيب أرسلان باسم النهضة العربية العلمية ، فوجدت ما نصه :

وأما في طرابلس الغرب فلم يكن أيام الدولة العثمانية غير جريدة الولاية الرسمية . وفي الوقت الحاضر توجد جريدة للحكومة في طرابلس واخرى في بنغازي .

مع أن الذي أعلمه يقيناً ان بطرابلس في العهد العثماني عدة جرائد كالترقي والمرصاد والرقيب والعصر الجديد وأبو قشة ( هزلية عربية ) وتعميم حريت هزلية تركية ومنشئها من طرابلس ، ومجلة باسم مجلة الفنون مصورة .

وفي العهد الايطالي بطرابلس جريدة العدل والرقيب العتيد وهي التي كان اسمها الرقيب في العهد العثماني ، والذكرى .

وأما في بنغازي فقد صدرت منذ نحو سنتين مجلة مصورة باسم « ليبيا المصورة » زيادة على جريدة باسم بريد برقة .

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان جريدة الرقيب التي سميت في العهد الايطالي بالرقيب العتيد كانت أرقى في العهد العثماني .

**طرابلسي مغربي**

---

# جولة في مدارس اليمن

ولما كان عطوفة الامير شكيب قد تناول بحث المعارف في بلاد اليمن

بصورة مجملة ولما كان منشئ الجزيرة [1] قد قام برحلة الى تلك البلاد وطاف في مدارس صنعاء رأينا إتماماً للبحث أن نضيف إلى محاضرة الامير ما نشره في جولته عن مدارس اليمن قائلا ما نصه :

ان الذين يقولون بان المدارس مفقودة في بلاد اليمن يهرفون بما لا يعرفون إذ يبلغ عدد المدارس في تلك الجهات نحو ٢٠٠ مدرسة بين مدارس صغيرة وكتاتيب وكلها مرتبط رأساً بالحكومة ، وبعضها مؤلف من ثلاثة صفوف وبعضها من أربعة .

نعم ان هذه المدارس لم تبلغ مستوى المدارس الحديثة في هذه البلاد بسبب فقدان الأساتذة الاكفاء ، ولكن حركة بسيطة تقوم بها حكومة جلالة الامام لا بد من أن تؤدي إلى تكوين نهضة ثقافية واسعة النطاق .

وفوق ذلك فان في صنعاء عدة مدارس كبرى أذكر منها المدرسة الحربية ودار المعلمين ومدرسة الايتام والمدرسة الزراعية ومدارس الصناعة ومدرسة الاصلاح والكلية العلمية .

والطلاب في جميع مدارس اليمن لا ينفقون على الدراسة بل ان أكثرهم يأكل وينام ويلبس على حساب الحكومة وهذه مأثرة خالدة نسجلها لجلالة الامام .

وقد التمست من سمو وزير المعارف أن يسمح لي بزيارة مدارس صنعاء فأذن لي بذلك وأرفقني بالشيخ يحيى النهاري وكيل مديرية المعارف وهو شاب يماني ذكي ونشيط .

## مدرسة الايتام

وقد بدأنا أولاً بزيارة مدرسة الايتام التي تعتبر من أرقى مدارس اليمن وهي مؤلفة من سبعة صفوف ستة منها ابتدائية وواحد ثانوي وجلالة الامام

---

(١) هو السيد تيسير ظبيان الكيلاني الدمشقي .

ينفق على هذه المدرسة من جيبه الخاص ويدخل في باب النفقات الطعام واللباس والنوم وغير ذلك ويبلغ عدد طلابها ٣٠٠ طالب أكثرهم من الايتام .

وقد استقبلنا مديرها الشيخ محمد تقي وأخذ يطوف بنا على غرف التدريس وقد فحصت بعض الطلاب وألقيت عليهم عدة أسئلة في التجويد والعلوم الدينية والحساب والجغرافية والتاريخ والقواعد العربية فوجدتهم رغم رداءة طرق التدريس المتبعة عندهم على جانب عظيم من الذكاء وحسن الاستعداد لتلقف أنواع العلوم .

بيد أنني أرى من واجبي إرضاء لضميري وتنبيهاً لحكومة جلالة الامام أن أدون فيما يلي الملحوظات الآتية :

١— ان الطلاب يحفظون دروسهم عن ظهر قلب دون أن يتدبروا معاني ما يحفظون .

٢— بعض التلاميذ كانوا يجلسون على الارض لعدم وجود مقاعد كافية .

٣— يظهر ان العهد التركي ترك في المدارس بعض الاصطلاحات غير العربية وقد رأيتها متداولة ومستعملة في المدرسة نحو : يوقلمة « تفقد » نوبتجي ( مناوب ) فايدوس « فرصة » وقد نبهت مدير المدرسة إلى الكلمات العربية التي تقابل تلك المصطلحات الأعجمية فوعد باستعمالها .

٤— لعل من أغرب ما شهدت في هذه المدرسة أن بعض التلاميذ كانوا مقيدين بالسلاسل من أرجلهم ولما استفسرت عن ذلك قيل إنهم يفرون كثيراً فلم يجدوا وسيلة لمنعهم من الفرار إلا عن طريق الأغلال !...

٥— الطلاب كلهم يرتدون الألبسة العربية اليمانية وهذا أمر لا نعترض عليه ولكن لاحظت أن الطلاب عند أداء بعض التمارين الرياضية ولا سيما عند استعمال المتوازيين والحلقات وغيرها يجدون صعوبة ومشقة فحبذا لو يعد لهم لباس خاص مؤلف من سروال وقميص خصيصاً للالعاب الرياضية .

ومما أدهشني وأثلج صدري أن التلاميذ استقبلوني بالاناشيد الوطنية المعروفة في بلادنا ولا سيما نشيد صليل الظبي وصرير القلم ...الخ

وقد شعرت بقوة حناجرهم وعذوبة أصواتهم مع عدم انطباقها على القواعد الموسيقية الحديثة .

والخلاصة فان هذه المدرسة ( رغم النقائص الموجودة فيها والمرجو تداركها حالا ) تعتبر من أعظم المؤسسات التعليمية في بلاد اليمن .

## مدرسة الصنائع

ثم توجهنا بعد ذلك الى مدرسة الصنائع وزرنا بعض فروعها وأقسامها ولا سيما معامل النسيج والصابون والسجاد . ويتولى إدارة شؤون هذه المدرسة شاب مصري منتدب من قبل الحكومة المصرية اسمه عبد القادر علام ، وقد أطلعني على خلاصة الاعمال التي قام بها والخطوات التي خطتها هذه المؤسسة الصناعية في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر . ثم أراني الآلات والمكنات التي أحضرت حديثاً وأكد لي أنه لو وجهت الحكومة العناية الكافية إلى تقاريره لاستطاع أن يؤمن عن طريق صنائع الطلاب فقط جميع حاجات اليمن من المنسوجات .

ثم زرنا معمل الصابون وكان ينتج في اليوم الواحد ما لا يقل عن أربعة آلاف قطعة صابون ، ويدير أعمال هذا المعمل رجل فلسطيني أصله من عكا ، وقد سألت عن الزيت الذي يصنع منه هذا الصابون فقيل لي انه يستخرج من نبات غريب يظهر في اليمن ويشبه الخروع في تأثيره .

ثم زرنا بعد ذلك معمل السجاد وأعجبت بمصنوعات الطلاب من السجاد النفيس والأبسطة الجميلة .

## المدرسة العلمية الكبرى

والمدرسة العلمية تعتبر أرقى المعاهد العلمية في اليمن وهي تؤهل طلابها وخريجيها بعد نوال الاجازة :(١) لتولي أعمال القضاء (٢) للقيام بشؤون التدريس في مدارس الحكومة (٣) للاندماج في وظائف الحكومة الكبرى . وعلمت ان

أكثر العمال في الأقضية والنواحي متخرجون من هذه المدرسة .

والطلاب فيها يأكلون وينامون ويلبسون على حساب الحكومة ، وقد زرت غرف نومهم وقاعات التدريس والمطبخ الذي يعد فيه الطعام فألفيتها كلها على أتم ما يكون بالنسبة لهذه البلاد .

وهذه المدرسة تدرس مختلف العلوم الدينية والعربية فهي تعتبر كالأزهر في مصر ويبلغ عدد طلابها المئتين وقد اختبرت بعضهم فوجدتهم متفهمين تماماً لما يلقى عليهم من الدروس ومتبحرين في الشؤون الدينية .

أما الدروس التي يتلقونها في هذه المدرسة فهي القرآن الحكيم ، أصول الفقه ، مصطلح الحديث ، الحديث ، علم الفرائض ، تفسير القرآن ، التصوف ( ويسمونه علم الباطن ) ، الصرف والنحو ، التوحيد ، المعاني والبيان ، المنطق ، الانشاء ، المحفوظات ، الأدب العربي ، التاريخ الاسلامي ، تاريخ الأئمة ، تاريخ اليمن ، الحساب ، علم الاوقات والفلك .

والكتب التي يعتمد عليها في التدريس أكثرها من وضع علماء الزيدية وبعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط وهذه أهم الكتب التي يدرسها الطلاب في هذه المدرسة :

التجويد ( شرح الجزري ) ، مفتاح الفائض في علم الفرائض ، متن الازهار في فقه الائمة الاطهار مع الشرح ، الفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل ، متن الاساس في علم الكلام ، تفسير الزمخشري ، متن الغاية في اصول الفقه ، متن التلخيص ، ملحة الاعراب .

ويبلغ عدد الاساتذة في هذه المدرسة ١٥ أستاذاً أذكر منهم حضرات :

الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي ( مدير المدرسة )

السيد أحمد بن علي الكحلاني ( رئيس المدرسين )

السيد حسين بن محمد الكبسي ، السيد أحمد بن عبدالله الكبسي ، الشيخ

الجمالي علي بن محمد فضة ، الشيخ حسين بن يحيى الواسعي ، السيد عبدالعزيز بن علي بن ابراهيم ، السيد علي بن محمد الشهيد ، الشيخ محمد بن علي الشرفي ، الشيخ علي بن هلال التبب ، الحاج لطفي الفسيل ، السيد عبد القادر بن عبدالله ، الفقيه محمد مداعس ، القاضي يحيى الانسي .

وحفاظ القرآن السيد علي الطائفي والفقيه حسين الغيثي والفقيه علي الحيمي .

ملحوظة : القاب العلماء في اليمن القاضي لمن تولى القضاء أو كان والده قاضياً ، والسيد لمن ينتسب لسيدنا علي ، والفقيه والشيخ لسائر العلماء .



# عدي بن الرقاع العاملي

## - ٣ -

## مختارات من شعره

ديوان عدي بن الرقاع مفقود ولم يبق من شعره إلا القليل وهذا القليل غير مجموع في مكان واحد يمكن الرجوع اليه بل هو مبعثر في بطون الكتب لذلك فقد انصرفت مدة من الزمن أجمع كل ما عثرت عليه من شعره في كتب الأدب واللغة والتاريخ والتراجم وتقويم البلدان ، فقد أجد القصيدة من شعره مفرقة في أمكنة متعددة فأضم بعضها الى بعض وقد أجد أبياتاً من بحر واحد وقافية واحدة منثورة على سبيل الاستشهاد في كتب اللغة وتقويم البلدان كلسان العرب لابن منظور ومعجم البلدان لياقوت فأجتهد في ترتيبها وجعلها قطعة واحدة متتالية بعد التحري والروية . ولم أجد من شعره قصيدة كاملة في مكان واحد إلا قصيدته الدالية التي مدح بها الوليد بن عبد الملك وأولها :

عرف الديار توهماً فاعتادها      من بعد ما شمل البلى أبلادها

فقد وردت برمتها في نهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٢٤٧ وشرح الكامل للمرصفي ج ٧ ص ٤٨ ومجلة الآثار ج ٢ ص ٤٤٤ .

وهاك طائفة مختارة مما جمعته من شعره ·

قال :

لو ثوى لا يريمها الف حول　　لم يطل عندهـا عليه الثواءُ
أهواهـا يشفه أم أعيرت　　منظراً غير ما أُعير النساءُ

وقال :

وناعمـةٍ تجلو بعود أراكة　　مؤشرة يسبي المعانق طيبها
كأن بها خمراً بماء غمـامة　　إذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها
أراك إلى نجد تحن وإنمـا　　منى كل نفس حيث كان حبيبها

وقال يجيب الراعي لما هجاه :

حدثت ان رويعي الابل يشتمني　　والله يصرف أقواماً عن الرشد
فانك والشعر ذو تزجي قوافيه　　كمبتغي الصيد في عريسة الأسد

وقال :

صادتك اخت بني لؤي إذ رمت　　وأصاب سهمك إذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة　　وأُعير غيرك ودهـا وهواهـا
بيضاء تستلب الرجال عقولهم　　عظمت روادفها ودق حشاها
وكأن طعم الزنجبيل ولذة　　صهبـاء ساك بها المسحر فاهـا
فاذا تجلجل في الفؤاد خيالها　　شرق الجفون بعبرة تشجاها
يا شوق ما بك يوم بان حدوجها　　من ذي المويقع غدوة فرآها

ومنها يقول في صفة حماري وحش :

يتعاوران من الغبار ملاءة    بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً    واذا السنابك أسهلت نشراها

وقال :

وفي الخدور مها حور مصورة    خلقن أحسن مما قال من يصف
إذا كورن خديثاً قلن أحسنه    وهن من غير سوء يتقى صُدُف

وقال يصف غيثاً :

مزن ترفع في ريح شآمية    مكلل بعماء الماء منتطق
تربص الليل حتى قل سائمه    على الرويشد أو خرجائه يدق
القى على ذات أحفار كلا كله    وشب نيرانه وانجاب يأتلق
نار تعاود منها العود جدته    والنار تسفع عيداناً فتحترق
فما به بطن واد غب نضحته    وان تراغب إلا مسفه تئق

وقال في طول الليل :

وكأن ليلي حين تغرب شمسه    بسواد آخر مثله موصول
أرعى النجوم إذا تغور كوكب    أبصرت آخر كالسراج يجول

وقال يمدح عمر بن هبيرة :

إذا شئت ان تلقى فتى البأس والندى    وذا الحسب الزاكي التليد المقدم
فكن عمراً تأتي ولا تعدونه    الى غيره واستخبر الناس وافهم
فتىً عزلت عنه الفواحش كلها    فلم تختلط منه بلحم ولا دم

كأن زرور القبطرية علقت علائقها منه بجذع مقوّم
عملس أسفار إذا استقبلت له سموم كحر النار لم يتلثم
يكافح لوحات الهواجر بالضحى مكافحة للمنخرين وللفم
إذا ما رمى أصحابه بجبينه سرى الليلة الظلماء لم يتهكم

وقال يفتخر:

نسيتم مساعينا الصوالح فيكم وما تذكرون الفضل إلا توهما
فان تعدونا الجاهلية اننا لنحدث في الأقوام بوسًا وأنعما
بلا ذاك منا ابن المعدل مرة وعمرو بن هند عام اصعد موسما
يقود الينا ابني نزار من الملا واهل العراق سامياً متعظما
فلما ظننا أنه نازل بنا ضربنا ووليناه جمعاً عرمرما
ونحن فككنا عن عدي بن حاتم اخي طيىء الأجيال قداً محرما



وقال يمدح عمر بن عبد العزيز:

جمعت اللواتي يحمد الله عبده عليهن فليهنئ لك الخير واسلم
فأولهن البر والبر غالب وما بك من غيب السرائر يعلم
وثانية كانت من الله نعمة على المسلمين اذا ولي خير منعم
وثالثة ان ليس فيك هوادة لمن رام ظلما أو سعى سعي مجرم
ورابعة ان لا تزال مع التقى تخب بميمون من الامر مبرم
وخامسة في الحكم انك تنصف الضعيف وما من علّم الله كالعمي

وسادسة ان الذي هو ربنا اصطفاك فمن يتبعك لا يتندم
وسابعة ان المكارم كلها سبقت اليها كل ساع وماجم
وثامنة في منصب الناس انه سما بك منهم معظم فوق معظم
وتاسعة ان البرية كلها يعدون سيبا من أمام متمم
وعاشرة ان الحلوم توابع لحلمك في فصل من القول محكم

وقال في الخمر :

فكأني من ذكركم خالطتني من فلسطين جاس خمر عقار
عتقت في الدنان من بيت راس سنوات وما سبتها التجار
فهي صهباء تترك المرء أعشى في بياض العينين منها احمرار

وقال :

عرفت بعفر أو برجلتها ربعا رماداً وأحجاراً بقين بها سفعا
فما رمتها حتى غدا اليوم نصفه وحتى سرت عيناي كلتاهما دمعا
أسرهمُ ما لو تغلغل بعضها الى حجر صلد تركن به صدعا
أميد كأني شارب لعبت به عقار ثوت في دنها حججا سبعا
مقدية صهباء تثخن شربها اذا ما أرادوا ان يراحوا بها صرعى
عصارة كرم من حديجاء لم تكن منابتها مستحدثات ولا قرعا
فذر ذا ولكن هل ترى ضوء بارق وميضاً ترى منه على بعده لمعا
تصعد في ذات الأرانب موهنا إذا هز رعداً خلت في ودقه شفعا
فما تركت أركانه من سواده ولا من بياض مستزادا ولا وفعا

وقال :

لولا الحياء وان رأسي قدعسى فيه المشيب لزرت ام القاسم

يصطاد يقظان الرجال حديثها وتطير بهجتها بنوم الحالم

و كأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

هذه طائفة مختارة مما جمعته من شعر عدي بن الرقاع العاملي إذا أُضيفت الى ما ورد منه على سبيل الاستشهاد في البحثين السابقين صورت القارئ شاعراً فحلاً من شعراء بني امية الذين يمثلون الشعر العربي الخالص .

**خليل مردم بك**





# نظريات الاقتصاد عند البيروني

النظريات الاقتصادية هي حديثة في حد ذاتها ، ولكن كلما أمعنا النظر بالوثائق العربية القديمة رأينا أن السلف الصالح قد تطرق إلى كل ناحية من المعارف ، ولو اننا تابعنا ذلك المسير لكنا اليوم في مقدمة الامم حضارة ومدنية .

البيروني هو أحد العلماء المسلمين الذي كان له الأثر الأكبر في جمع العلوم الاسلامية فهو أحد ثقات النقادين والبحاثين في العلوم التاريخية والجغرافية والطبيعية والرياضية .

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في عام ٣٦٢ هـ . أي ٩٧٢ م . في خوارزم وعاش ردحاً طويلاً من الزمن في بلاط ملوك غزنة السلطان مسعود وخليفته السلطان مودود ؛ أما الكتب التي ألفها فقد أدرجت بفهرست بروكلمن ودائرة المعارف الاسلامية الالمانية ، وكتاب الصيدنة الذي يبحث عن العقاقير ومنفعتها فقد نشره طبيب العيون في القاهرة وأحد البحاثين عن تاريخ الطب العربي الدكتور ماكس مايرهوف . ونشر ر . رامزي رايت R. Ramsay Wright الانكليزي كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ؛ أما مخطوطة البيروني القيمة التي تبحث عن الاحجار (الجماهر في معرفة الجواهر) والتي اكتشفت فيها النظرية الاقتصادية فاني اعرف لها ثلاث نسخ :

١ : نسخة محفوظة في مكتبة الاسكوريال في أسبانيا تحت عدد ٢٢٣ [1]

---

(١) انظر مقال شتاينشنايدر في مجلة الشرق الألمانية ١٨٩٥ عدد ٤٩ ص ٢٥٣
M. Steinschneider, ZDMG. 49, 1895, p.253.

وقد كنت اطلعت على هـذه النسخة في مكتبة تاريخ العلوم الطبيعية في برلين فوجدتها مملوءة بالاغلاط ·

٢ : نسخة محفوظة في مكتبة السراي في الآستانة كتبت عام ٦٢٦ ه وقد اطلعت على صورة شمسية لهذه النسخة في جامعة بون ، ويقول الاستاذ كرنكو في مجلة ثقافة الاسلام الهندية التي تصدر باللغة الانكليزيـة في حيدر آباد ( عام ١٩٣٢ جزء ٥ ، ص ٥٣٠ وما تابعه ) [١] ان هناك نسختين في الاستانة في حين ان الاستاذ هلمون ريتو المقيم في الاستانة لتدقيق المخطوطات العربية في خزائن المكتبات التركية يعتقد أن هناك نسخة واحدة ·

٣ : نسخة محفوظة في مكتبة رشيد أفندي في مدينة قيصرى في تركية ، ومكتبة بروسيا الحكومية تملك صورة شمسية لهذه النسخة التي كانت دليلي في هذا الموضوع ·

وقد أتيح لي أن أدرس هذه المخطوطة دراسة متقنة اطلعت فيها على جميع مآخذ البيروني ، وقد عثرت هنا على نظرية اقتصادية لهـا تماس قوي مع النظريات الاقتصادية الحديثة أقرت بقيمتها كلية الفلسفة في جامعة بون [٢] ·

وقد كنت نوهت عن هذه المقالة في مجلة الاعتدال ( النجف نيسان ١٩٣٦ ص ٥٦١ ) · واني الآن سوف أبين ما هذه النظرية ، ولكن قبل الخوض في الموضوع أود أن آتي بنظرة تاريخية سطحية أبين فيها الذين سبقوا البيروني في هذا المضمار ·

في العهد اليوناني تطرق أفلاطون وأرسطوطاليس الى البحث في حاجة الانسان الى التعاون ، حتى ان أرسطوطاليس أشار بأن قيمة الدرهم ليست من ذاته بل بحسب الاعتبار [٣] · وهناك فيلسوف يوناني يدعى بريزون Bryson

---

(١) Islamic Cultur VI, 1932 p. 530 ff.

(٢) راجع أطروحتي الدكتورية عن منابع كتاب الاحجار المقدمه لجامعة بون عام ١٩٣٥ · M. J. Haschmi, Die Quellen des Steinbuches des Beruni (Inaugural - Dissertation), Bonn 1935. P. 44,

(٣) راجع رسالة أوغارسالين ( استاذ الاقتصاد في بازل ، سويسرا ) عن تاريخ -

الذي بحث أيضاً بفلسفة الاقتصاد ولكننا لا نعلم الزمن الذي عاش فيه ٠
ويزعم الاستاذ مارتين بلسنر الذي دقق مؤلف هذا العالم مع ترجمته العربية (١)
انه عاش على التقريب بين مائة سنة قبل الميلاد وبين مائة سنة بعد الميلاد
وهناك نظرية اقتصادية للدمشقي نشرها الاستاذ هلموث ريتو في العدد الخامس
من مجلة الاسلام الالمانية (٢) ، لا نعلم أيضاً الزمن الذي عاش فيه هـذا العالم
الدمشقي ولكنه ما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر ٠

فاذاً ان أهمية نظرية البيروني عظيمة لاننا نرى هنا تحديد الزمن الذي
نشأت فيه هذه النظرية ، وقد سبق الفارابي البيروني في فكرة تشكيل
الجماعات في كتابه القيم « المدينة الفاضلة » أما ابن سينا المعاصر للبيروني
فقد ألف كتاباً في السياسة (٣) تكلم فيه عن حاجة الانسان الى التعاون
ولكنه لم يذكر وجوب اتخاذ واحد قياسي للمعاملة في المبادلات ، فللمرة
الاولى نجد تحديد النظرية الاقتصادية في الادب العربي عند البيروني وذلك في
مقدمته القيمة في كتاب الجماهر في معرفة الجواهر (٤) ٠

ـ علم الاقتصاد السياسي في دائرة معارف الحقوق وعلم الحكومة برلين ١٩٢٩ ص ٦

Edgar Salin, Geschichte der volkswirtschaftslehre(Enzyklopaedie der Rechts - und Staatswissenschaft ) , Berlin 1929, P. 6

(١) Martin plessner, Der Oikonomikos des Neupythagorees Bryson, Heidelberg 1928, P. 148.

(٢) Helmuth Ritter, Ein arabisches Handbuch der Handelswissenschaft, Der Islam, VII, 5.

(٣) راجع مجلة المشرق العدد التاسع عام ١٩٠٦

(٤) رغماً من أن البيروني اعتمد في تأليفه هذا الكتاب على الكندي حيث يقول : « ولم يقع في هذا الفن اعني فن الجواهر غير كتاب أبي يوسف بن اسحق الكندي في الجواهر والاشباه، قد افترع فيه عذرته وأظهر دورته كاختراعه البدائع في كل ما وصلت اليه يده من سائر الفنون ، فهو امام المجتهدين واسوة الباقين » ليس عندنا أي دليل على ما اقتبسه من ذلك العالم في تكوين نظريته الاقتصادية ، وكذلك الامر بمعاصر الكندي الجاحظ الذي استقى البيروني منه بعض الاخبار ـ

ابتدأ البيروني في مقدمته بعد حمد الله بالكلام عن غاية الخليقة ، فتكلم عن النبات والحيوان ، ثم عن الانسان كمخلوق اجتماعي ، ويبين بعد ذلك ضرورة اتخاذ قيمة ثابتة لتسهيل تبادل المصالح ، ثم يجلب هذا العالم نظر دقتنا الى الخطر الناشيء عن الغلو في تشريف الذهب والفضة فيبرهن لنا بأن لا قيمة مطلقة بل قيمتها قيمة نسبية إضافية ، وينتقل بعد ذلك إلى أبحاث الاخلاق الاجتماعية التي تجلب السعادة لبني البشر ٠

تشتق فكرة البيروني في الاقتصاد من الحاجة ، وهي حاجة المخلوقات إلى المعيشة ، فجعل الله النبات مكتفياً بالقليل من الغذاء الذي لا ينهضم بسرعة ، وثابتاً مكانه يأتيه رزقه من كل مكان فيجذبه بعروق دقاق ؛ أما الحيوان فكان الانهضام فيه سريعاً ، منفصلاً عن منبته محتاجاً إلى القضم والخضم فجعل منتقلاً بآلات الحركة في أكناف الارض لطلب القوت ، فأنعم عليه وأعطي خمس حواس للشعور بما حوله مما باينه وغايره : من بصر يدرك به المرغوب فيه من بعيد فيسرع إلى اقتنائه ، والمرهوب ليهرب منه ويستعد لاجتنائه واتقائه ، ومن سمع يدرك به المذكور من حيث لا يدركه البصر ، ومن شم يدله على خواص الاشياء ، وذوق يظهر له الموافق من الغذاء وغير الموافق ، ولمس يعرف به الحر والقر والرطب واليابس والصلب واللدن والخشن واللين٠

فالبصر محسوسه النور الحامل في الهواء ألوان الأجسام خاصة ، وإن حمل أيضاً غيرها من الاشكال والهيئات ، والسمع محسوسه الاصوات والهواء يحملها اليه ، والشم محسوسه الروائح ، والهواء يوصل حواملها الى الخياشيم إذا انفصلت

---

ـ عن الجواهر ، أما ارتباط البيروني باخوان الصفاء فلا يزال غامضاً ، ولم أعثر الا على التشابه بين فكرة التطور في الطبيعة عند اخوان الصفاء وعند البيروني ، وقد كنت بحثت في هذا الموضوع في مجلة المجمع العلمي العربي من عدد ايلول ١٩٣٢ ، راجع اطروحتي (الدكتوراه) وملحق تاريخ الادب العربي لبروكلمن الحديث ص ٣٨١

C. Brockelmann, Geschichte der arab. Literatur, Supplement, Leiden 1936., I. P. 381.

من المشموم كانفصال البخار من الماء باختلاط أجزائه المنتشرة في الهواء ، والذوق محسوسه الطعام والرطوبة تحملها وتوصلها إلى الذائق وتولجها في خلله ؛ أما حاسة اللمس فانها عمت جميع البدن في أعضائه وفي آلات سائر حواسه ، وأول ما يلاقي الكيفيات ظاهر البدن ، ولهذا كان الجلد بحس اللمس أولى واليه أسبق ، ثم ما وراءه أول فأول بحسب اللين واللطف ، فيزول به حس اللمس عن العظام .

إن المشاعر وان جعلت طلائع الحيوان للاقتناء والابقاء فان النوع الانساني قد فضل على جملة الحيوان بما شرف به من قوة العقل ، ورشح للخلافة في الارض على التعمير وإقامة السياسة فيها ، ولهذا دانت له طوعاً وكرهاً ؛ ولولا هذا الانعام على الانسان لما قاوم أدونها ، وقد أفرد من حواس الانسان اثنتان هما السمع والبصر فجعلتا له مراقي من المحسوسات الى المعقولات ؛ ويستدل البيروني هنا على خطورة السمع والبصر بآية قرآنية : « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ، وكذلك ببيتين من أشعار العرب كقول أعشى بن ربيعة :

كأن فؤادي بين جنبيّ عالم  بما أبصرت عيني وما سمعت اذني

وقول جميل بن معمر :

إذا كنا بمنزلة للهو  يخاف السمع فيه والعيونا

وبعد أن تكلم البيروني عن الحواس والمشاعر أتى على خطورة تكوين الجماعات إذ يقول :

الاستيناس يقع بالتجانس حتى قيل ان الشكل الى الشكل ينزع ، والطير مع الافه تقع . فالأخرس يسكن إلى أخرس ، لأنه يفهم لغته فيما هو بين قوم لا يفهمون عنه شيئاً ، ولذا أشار البيروني الى تلك الآية الكريمة في تشكيل الجماعات : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » . وهكذا يعد البيروني الزواج استدلالاً بالقرآن كضرورة من

ضرورات الاجتماع ، إذ هو يفضي الى سكنى القرى، والمدن ويسبب التكاثر للتعاون في الغايات ، أما سبب تعدد الحرف والصنائع فيعللها بما يلي :

الانسان في جبلته مركب البدن من أمشاج متضادة لا تجتمع الا بقهر قاهر ، والنفس في أكثر أحوالها تابعة للمزاج فتتلون لذلك وتختلف اختلافه . ومعلوم أن المقهور دائم النزوع إلى ازالة القهر عنه ، وهذا هو سبب ما يلحق الحيوان من الآفـات والاذى الذي يحتاج من داخله إلى المضادات المطيفة به من خارجه ، ثم ان الانسان لعراه في ذاته ، ومسكنته لعدم آلاته مقصود بالبلايا من غيره ، دائم الحاجة الى ما يقيه والاضطرار الى ما يكفيه . وهنا يبدأ البيروني بالكلام عن الحاجة ، ويرى أن حاجات الانسان لا تنقضي طالما هو حي يرزق ، ويستدل على صحة رأيه بهذا المثال :

يموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

أما ضرورة التعاون فقد سبق كثير من العلماء البيروني كأمثال افلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا وغيرهم كما ذكرت ذلك سابقا . وان فكرة التعاون عند عالمنا مطابقة كل المطابقة للنظريات القديمة القائلة بأن حاجات الانسان متعددة فلا يمكن لفرد أن يستقل بتداركها بنفسه ولا يفي بها الا نفر ، ولهذا احتاج الانسان الى التمدن . وهناك حكمة إلهية الا وهي اختلاف توزع الناس في الأرض بين الاهواء والهمم كيلا يطبقوا على اختيار واحد هو الافضل فيضيع ما دونه . وهنا يأتي البيروني بحكمة قيمة ورغم مرور العصور نجد ان تلك الحكمة لا تزال حديثة كأن قائلها عالم عصري يعيش بين ظهرانينا ، يقول ذلك الحكيم الخالد : « يؤدي تساوي البشر الى هلاك جملتهم » . فينادي البيروني من تلك العصور الماضية محذراً من دعاة الشيوعية الذين يدعون امكان تساوي البشر ويفهمنا الخطر العظيم من ذلك الخيال الذي حلم به كثيرون .

أما الحرف والصناعات فيجد البيروني أنهـا نشأت من اختلاف المقاصد

والارادات . فللتعاوض اتخذ البشر بعضهم بعضا سخريا ، فالتسخير بالجور والاستيجار لا يدوم ولا يستقيم . وانه لكثرة الغايات وتباين اوقاتها واستغناء الواحد أحياناً عما عند الآخر لجأ الناس إلى طلب أثمان عامة بدل الاعواض الخاصة ، فاختاروا لها ما راق منظره وعز وجوده وطال بقاؤه ثم انقاد للتعظيم بالتوحيد وللتصغير بالتجزئة والتبديد وللختم بالتنقيش والتصوير متردداً بين صنوف الهيئات والصور مع ثبات هيولاه ومادته . ولهذا السبب يعتقد البيروني ان الله تعالى لرأفته بخلقه وظاهر عنايته بهم خزن لهم قبل خلقه اياهم جميع الموزونات في أرحام الارضين تحت الرواسي الشامخات للانتفاع بها في الاجتلاب والدفاع ، واليه يرجع قوله عز وجل ( وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ) ثم قدر الله في الفضة والذهب جميع مصالح الناس حتى تحلى أثمان المطلوبات وهداهم اليهما فاستخرجوهما من معادنهما التي عديا فيها دهوراً ، ووكل الساسة بهما ليحفظوهما من تمويه الخونة أشباههما المغايرة إياهما ابدالا عنهما ، وليهذبوهما عن الادناس بالسبك والطبع ، فما من حق مع محق الا وبإزائه باطل مع مبطل يروم ترويجه في مكانه . وهذا وأمثاله هو المحوج اولي السياسة ليستحقوا اسم الخلافة في الخلق .

يعرفنا البيروني بالضرر الذي ينجم من الغلو في تقدير الذهب والفضة واختزانهما ، فيأتي بنظرية اقتصادية تلعب اليوم دوراً عظيماً في عالم الاقتصاد فان هناك من يعتبر تلك النظرية ويعدها الاساس الاكبر في هذا الفن ومن يرفضها رفضاً باتاً . وقبل أن نعلم من هو القائم بتلك النظرية الحديثة يجب ان نسمع مايقوله البيروني :

لما سهل على الناس تكاليف الحياة وتصاريف المعاش بالصفراء والبيضاء ، انطوت الافئدة على جمعهما ومالت القلوب اليهما ... واشتد الحرص على ادخارهما والاستكثار منهما . وجل محلهما من الشرف والأبهة وضعاً لا طبعاً واصطلاحاً فيما بينهم لا شرعاً ، لانهما حجران لا يشبعان بحد ذاتهما من جوع ولا يرويان من صدى ولا يدفعان بأساً ولا يقيان من أذى ... فيبرهن

البيروني بذلك انهما خيران بالوضع وسماهما الناس خيراً كالمطاق لاحتوائهما على المناجح في المآرب . وبهذه المناسبة يأتي البيروني بحكاية عن الشعوب الابتدائية:

« أخبر بعض من سافر في البحر أن الريح أفضت بمركبهم الى جزيرة عادلة عن الجادة فأرفئوا عندها ، وانه خرج مع الخارجين اليها ، ودفع الى من رأى حاجته معه ديناراً ، فأخذه وفتشه وشمه وذاقه ، فلما لم يوثر منه في هذه الحواس أثر نفع ولذة ورده عليه ، اذ لم يستجز دفع ما ينتفع به بما لا نفع له فيه » . ويؤكد البيروني قائلا :

هذا لعمري هو المعاملة الطبيعية التي بها حقيقة نظام المعاش من المتمدنين للتعاون . وأما المعاملة الوضعية فعلى الاعم فيها بما اتصل بنا خبره من البلدان والممالك هي بالفلزات التي ازدانت في أعين الناس وشغف بها قلوبهم لصرف الله بلطفه اياها اليهم إصلاحاً بينهم لا لأنفسها .

وهنا تجادلت مع الدكتور كلاوزينك أحد أساتذة علم الاقتصاد في جامعة بون عن هذه النظرية وأخيراً اعترف هذا الاستاذ بعد دراسة الموضوع ملياً بالتشابه الذي بين نظرية البيروني ونظرية اقتصادي حديث يدعى كناب Knapp وهكذا يدعي كناب أن قيمة الذهب هي ليست من معدنه بل حسب الاعتبار ، أي كما يقول البيروني وضعاً لا طبعاً [1] .

وأخيراً يعالج البيروني مرضاً معضلاً في عالم الاجتماع لم يبرأ البشر منه رغماً عن مضي العصور العديدة ، وذلك الداء العضال هو كنز الاموال وعدم تركه للتداول ، لأن الحركة هي من ضرورات الحياة ، واذا وقفت تلك الحركة كانت أزمة اقتصادية هائلة . فلقد أنكر البيروني كنز الاموال واستدل بالآيات القرآنية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل

(١) راجع النظرية الحكومية للدرهم لكناب :
Knapp , Staatl. Theorie des Geldes ,
München und Leipzig 1921, p. I. Herbert Doering, Die Geldtheorie seit Knapp [Greifswalder Staatswissenschaftl Abhdlg. Greifswald 1922, p.9 ).

الله فبشرهم بعذاب أليم » . ويفسر البيروني في سبيل الله فيهما ما خلقهما له من انتفاع الناس بترددهما في أيديهم أثماناً لمصالحهم . فبوجودهما كنزا انقطع انتفاع الخلق بهما وخولف أمر الله تعالى ومشيئته فيهما . ويعتقد البيروني ان الذهب والفضة إذا خرجا من معدنهما صارا كالزروع المحصودة والانعام المذبوحة لا يسوغ غير أكلها واتفاقها ، كذلك هذا المال ليس له بعد الاستنباط غير الطبع عيناً وورقاً وترديده في الايدي . ولهذا السبب نفسه يرى البيروني حكمة تحريم الاواني الذهبية لأنها تصير غير منتفع بها في الوقت انها جعلت لاجل تسهيل التبادل في المصالح البشرية[١] .

فلا عجب بعد هذه المقدمات إذا بدأ البيروني يتكلم عن الفتوة والمروءة قائلا ان المروءة تقصر على الرجل في نفسه وذويه والفتوة تتعدى الى غيره . اذاً ان حل الأزمات الاقتصادية لا يمكن ان يكون مادياً بوجه من الوجوه بل هو معنوي محض . فلو غرس في قلوب الناس معنى تلك المروءة والفتوة لما طاق بشر أن يرى غيره يتقلب من الآلام وهو وحده يتنعم بشتى الخيرات ، ولعلم ان الدرهم الذي بيده والمال الذي جمعه يجب أن يتداول ، يجب أن يمشي ولا يقف في أرضه ، عند ذلك نشاهد سعادة لا تشابهها سعادة .

وإذا اتضح لنا ان كثيراً من علماء الاقتصاد في الزمن الحاضر يرون ان الازمة الاقتصادية العالمية الحالية ناشئة عن عدم معرفة التبادل في المنتجات تظهر لنا أهمية نظرية البيروني في عصرنا الحديث ايضاً . ومن يدقق المنتجات العالمية يرى ان هناك مواد كافية من طبيعية وصنعية للقيام بحاجة البشر ، ولا تحتاج الشعوب إلا إلى رجال عقلاء يدبرون تبادل المصالح المختلفة . وهنا

(١) يستند البيروني على الشافعي في حكمة تحريم الأواني الذهبية والفضية ( راجع كتاب الام ، بولاق ١٣٢١ هـ . مختصر مزني ص ٤ ) . وكما اعتنى فقهاء المسلمين في قضية الاقتصاد الاخلاقي كذلك اعتنى في ذلك رجال الدين المسيحي في اوائل القرون المسيحية . راجع كتاب باول مومبرت عن تاريخ علم الاقتصاد :

**Paul Mombert. Geschichte der Nationaloekonomie, Jena 1927 p. 64 — 65.**

نرى جلياً ان الداء الاجتماعي العضال الذي تئن من تحته الانسانية لا يزال هو هو منذ الاجيال البعيدة ·

هكذا يصرخ فينا حكيم مثل البيرني من تلك العصور الماضية منادياً: ان الأزمات مهما تراءت لنا بمظهر مادي هي في الحقيقة أزمة روحية ·

الدكتور

**محمد يحيى الهاشمي**

مدرس اللغة العربية في برلين



# الاهتداء

# الى قبر معاوية بن أبي سفيان بدمشق

## الدوي التاريخي الذي تركه معاوية

لقد ترك معاوية منذ نشأته الى الحشر ، دوياً تاريخياً « كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر » . أما في منشإه : فقد روى لنا محمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات عن أبان بن عثمان قال : كان معاوية بمنى وهو غلام مع امه فعثر فقالت له : قم لا رفعك الله ، فقال لها اعرابي سمعها : لم تقولين له هذا ؟ والله اني لأراه يسود قومه ، فقالت : لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه ! وقد ساد قومه كما توسمت وهو فتى ، فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلده إمارة الشام وهو في مقتبل عمره ، وأعجب له مع ابن الخطاب وهو يحاوره . في الاستيعاب : قال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية : هذا كسرى العرب ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا منه قال له : أأنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال :

— نعم يا أمير المؤمنين . قال عمر :

— مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات [1] . قال معاوية :

— مع ما يبلغك من ذلك ! قال عمر :

— ولمَ تفعل هذا ؟ قال معاوية :

---

(١) لعل الاصل : ببابك .

— نحن بأرض جواسيسُ العدوّ بها كثير ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به ، فإن أمرتني فعلت ، وإن نهيتني انتهيت ؛ قال عمر :

— ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس [1] ، إن كان ما قلت حقًا إنه لرأي أريب ، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب ! فقال معاوية:

— فمرني يا أمير المؤمنين ، فقال عمر :

— لا آمرك ولا أنهاك ؛ وكان يسمع تحاورهما عمرو بن العاص فقال :

— يا أمير المؤمنين ، ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه ! فقال عمر:

— لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه !

ونحن إنما نشيد بذكر معاوية في هذه المقدمة من الوجهة القومية ، معتقدين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحق منه دينيًا بالخلافة وانه باعتقادنا معشر السنة كان في خصومته مع علي كرم الله وجهه مجتهداً مخطئاً وكان علي مصيباً ، وأن للمخطئ عن اجتهاد أجراً وللمصيب أجرين ، وأنهما وأتباعهما قد رجعا الى ربهم وهو أعلم بهم وسينبؤهم بما كانوا فيه يختلفون ، والمسلمون اليوم في حاجة حاقة إلى توحيد كلمتهم ، والعرب منهم خاصة أحوج ما يكونون اليوم إلى لمّ شعثهم وضم ما انتشر من الفتهم ، ونحمد الله أن أوجد فينا بأخرة من أفاضل الشيعة من ينصف معاوية من الوجهة القومية كما ينصفه السنة وأ كثر ، فلولا معاوية وحسن سياسته ، وما ملأ الاسماع من أنباء حلمه وكياسته ، لما توطد للعرب ملك في ديار الشام . واستمع لشهادة ابن عباس فيه ففي تاريخ البخاري قال ابن عباس :

(١) لعلها الفرس إذ لم نجد في التاج واللسان ان للضرس رواجب إنما هي للحمار على سبيل التمثيل فللفرس وغيرها من ذوات الحوافر رواجب ، قال في التاج : والرواجب من الحمار عروق مخارج صوته عن ابن الاعرابي وأنشد :

طوى بطنه طول الطراد فأصبحت تقلقل من طول الطراد رواجبه

ولعله أراد تركتني في مثل رواجب الفرس اضطراباً ، نقول هذا الى أن نجد نصًا واضحًا وقولا شارحًا .

ما رأيت أحداً أحلى للدلك من معاوية ·

ثم استمع لشهادة عبدالله بن عمر إذ يقول : ما رأيت أحداً بعد رسول الله (ص) أسود من معاوية ، فقيل له : فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رض) فقال : كانوا والله خيراً من معاوية ، وكان معاوية أسود منهم ؛ فيفضله عبدالله على أبيه عمر في السيادة ، وأنصف بها من شهادة ·

## ولاية معاوية على الشام

ولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد سنة تسع عشرة ، وكان عمر كتب الى يزيد بن أبي سفيان يأمره بغزو قيسارية فغزاها وبها بطارقة الروم فحاصرها أياماً ، وكان معه بهذه الغزاة أخوه معاوية فتخلفه عليها ، وصار يزيد الى دمشق فأقام معاوية على قيسارية حتى فتحها في شوال سنة ١٩ للهجرة ·

وتوفي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام في دمشق واستخلف أخاه معاوية على عمله فكتب اليه عمر يعهده على ما كان يزيد من عمل الشام ورزقه الف دينار في كل شهر فأقام أربع سنين ، ثم مات عمر وأقره عثمان عليها في اثنتي عشرة سنة الى أن مات ولم يبايع علياً متهماً إياه بمقتل عثمان فكانت الفتنة رحاربه خمس سنين ، واستقل بالشام ، ثم أضاف اليها مصر ، ثم تسمي بالخلافة بعد الحكمين ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن رضوان الله عليه واجتمع الناس يامئذ فسموه عام الجماعة ، قال عبدالملك بن مروان : عاش ابن هند ( يعني معاوية ) عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ·

## كتابة الوحي

في دمشق ثلاثة من كتاب رسول الله (ص) زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وقد اختص معاوية من بينهم بمراسلة قبائل العرب فكان لذلك من أعلم الناس بها وأقومهم بسياستها ، قال المدائني : كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية للنبي (ص) فيما بينه وبين العرب ، فهو بذلك

شبيه بمدير العشائر على عهد الحكومة الفيصلية ، أو رئيس المكتب العربي[1] في حكومات هذا العصر ، وكأنه إنما اضطلع بالكتابة بدعوة النبي (ص) له كما كان يدعو نعماله ، فعن العرباض بن سارية – كما في الاستيعاب – قال سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب .

## وفاة معاوية بدمشق

وتوفي معاوية بدمشق يوم الخميس في النصف من رجب سنة ستين على الصحيح ، وهو ابن ٨٢ سنة وكان قد ادخر ليوم احتضاره ثوباً للنبي (ص) كان يلبسه على جلده ، وقلامة من أظفاره وقصاصة من شعره فقال لابنه وهو يحتضر :

إذا أنا متّ فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي وخذ ذلك الشعر والاظفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني فان نفع شيء فذاك ، وإلا فان الله غفور رحيم ، ثم تمثل محتضراً بهذا البيت الحكيم :

فهل من خالد إما هلكنا ... وهل بالموت يا للناس عار

## كيف اهتديت الى قبره الصحيح ؟

ذهبت عصر الجمعة في السابع من شوال ١٣٥٦ (١٠ كانون الاول – دسمبر ١٩٣٧) في يوم صحت سماؤه وصح هواؤه للتنزه في حدائق دمشق الغناء مع صديقين رفيقين لأحدهما « بستان السيوفي » نسبة الى اسرته يقع قبليّ مقبرة باب الصغير – ولعلها أقدم مقابر دمشق – وكان من مخاصير الطرق أن نجتاب هذه المقبرة القديمة ، وكان من عادتي كلما مررت بها أن أسأل الحفارين بها عن قبر معاوية ، فلما مررنا بقبور آل البيت وتبركنا بزيارة قببهم رضوان الله عليهم ، تغلغلت بين القبور المجاورة فرأيت حفاراً قبليّ القبتين المنسوبتين لام حبيبة بنت أبي سفيان ولام سلمة من أزواج الرسول (ص) ، فسألته عن قبر

(1) Arab bureau.

معاوية فقال الحفني فلحقته وصاحباي على أثري الى أن بلغنا حجرة من اللبن مسقوفة بأعمدة من شجر الحور بابها الى الغرب ، وهي هنا واقعة قبلي المقبرة قريباً من مسلخ المدينة ، فأخرج الحفار مفتاحاً من الزنار وفتح الباب فدخلنا الحجرة فواجهنا قبراً على موضع الرأس منه عمامة خضراء من الحجر وفي واجهته الغربية حجران مكتوبان ، أعلاهما الواقع تحت العمامة بقدر دفة كتاب كبير نقش عليه في السطر الأعلى ما نصه : « قبر سيدنا معاوية رضي الله عنه » وتحته: « جدد هذا المقام صاحب الخيرات اونوى ( كذا ) الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥ » وهو محمد باشا العظمي وكان مولعاً باهداء الكتب والمصاحف الى المساجد ، والحجر الثاني من تحته قطعة يبلغ ارتفاعها الذراع من عمود من الحجر المزي الصلد به بعض شقوق وتحطيم زبر عليه ما نصه والسطر الأعلى لا يقرأ :

« هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

ثم خرجت من الحجرة وبحثت عن القبور المجاورة فشاهدت قبراً متصلا من جانبه الشمالي بجدار الحجرة الجنوبي وله شاهدتان قائمتان : الغربية منهما عليها خط كوفي تصعب على عجل قراءتها ، والشرقية أصلد حجراً منها وأوضح كتابة عليها ما نصه :

« هذا ضريح الفاضل الكبير والعلامة النحرير صاحب التآليف الجامعة والتصانيف النافعة ولي الله من غير ارتياب ومن الدعاء عند قبره مستجاب سيدنا الشيخ أبو الفتح نصر بن ابراهيم بن داود المقدسي قدس سره العزيز سنة ٤٩٠ »

وهنالك قبور أخرى لعلماء مشهورين منهم في القرن السادس خطيب دمشق وامامها ومفتيها عبد الملك بن زيد التغلبي الدوامي من أئمة الشافعية المؤلفين توفي سنة ٥٩٨ للهجرة ، والى جانبه قبر أبي البيان محمد القرشي الدمشقي شيخ الطائفة البيانية كان شاعراً وإماماً في اللغة وفقيهاً مؤلفاً وزاهداً صاحب أحوال ذكره

ابن كثير في الطبقات توفي سنة ٥٩٠ ، الى قبور قديمة اخرى .

أما عبارة ( خال المؤمنين ) في شاهدة معاوية فلأن اخته السيدة ام حبيبة زوج النبي (ص) هي أم المؤمنين فهو خال المؤمنين ، وقد رجعنا من المقبرة مع الغروب الى منازلنا ، وأخبرت ثاني يوم صديقي مدير الآثار في دمشق الامير جعفر الحسني حفيد الامير عبد القادر الكبير وأنبأته باهتدائي إلى قبر معاوية والى ما حوله من القبور القديمة ، فسر لهذا النبأ الاثري التاريخي العظيم ونهض معي لزيارته فذهبنا وقت الزوال الى المقبرة ودخلنا الحجرة وشاهد الحجرين لان علماء الاثار لا يحفلون كثيراً بالاقوال الشائعة ما لم يروا أثراً ناطقاً ودليلاً صادقاً ، ثم أريته قبر الامام المقدسي الملاصق للحجرة وما حوله من القبور القديمة التي تبلغ بمجموعها نحو عشرة قبور فقرأنا الشواهد معاً ، وكان بعض التواريخ مدفوناً في الارض فكشف لنا الحفار عنها حتى قرأناها وكتبنا ما قرأناه ورجعنا أدراجنا ، ثم بحثنا في شذرات الذهب عن ترجمة نصر بن ابراهيم المقدسي فوجدنا له ترجمة عالية فقال لي مدير الآثار :

لو وجدنا في هذه الترجمة ذكراً لدفنه قرب معاوية لزال كل شك ، واذا كان من أئمة الشافعية راجعنا ترجمته في كتاب ( تهذيب الاسماء والحلقات ) للامام النووي ، فوجدناه لم يترجم لنصر غيره ، ورأيناه يجله الإجلال كله ويذكر انه من المرجحين في المذهب الشافعي وانه في كتابه ( الحجة على من ترك المحجة ) لم يذكر في المسائل التي قيل فيها قولان إلا قولاً واحداً رجحه ، وذكر ان الامام الغزالي أخذ عنه وانتفع بصحبته ، وانه سمع من الشيوخ يستجاب الدعاء عنده يوم السبت ، كما كتب على الشاهدة ، فدعوت لله والامير جعفر كثيراً لان زيارتنا له كانت يوم السبت ، ثم قال الامام النووي في تهذيبه [1] ما نصه :

« وقبره بباب الصغير بجنب قبر معاوية وأبي الدرداء رضي الله عنهم

(١) الجزء الثاني من القسم الاول ص ١٢٦ .

يكثر الناس زيارته والدعاء عنده » ، ولم يزل النساء يزرن قبره إلى يوم الناس هذا للتبرك به والدعاء عنده يتوارثن جيلاً بعد جيل معرفة قبره وما خص به من البركة ، وقد جهل جل الشيوخ حتى الشافعية منهم قبره ، كما جهل الناس بدمشق قبر معاوية إلا بعض الحفارين بباب الصغير والعجائز من النساء اللواتي يزرن قبر نصر المقدسي رحمه الله .

ولما قرأنا تنويه الامام النووي بدفن المقدسي بجنب قبر معاوية وليس بين القبرين غير نحو مترين قال مدير الآثار الأمير جعفر : الآن حصحص الحق ، وهو دليل علمي قاطع كما أن الحجرين على القبر دليل أثري نافع ، وفي دمشق قبران آخران منسوبان لمعاوية أحدهما في محلة الشرفاء من حارة النقاشات تحت قبة أيوبية العهد يقولون إنه قبر معاوية الكبير وقد زرته مرتين وليس في القبة ولا على القبر شيء من الكتابة ، وفي زقاق يعرف بزقاق معاوية قبر في زاوية قادرية فيها كثير من الطبول والمسابح والدفوف مغشى بالجوخ الأخضر ينسب لمعاوية الصغير ، وليس في هذه الزاوية أثر كتابي يدل على المدفون ، هذا هو الشائع اليوم بين جمهرة الشاميين ، وقد غر هذا الشائع الحافظ ابن طولون إذ يقول في كتابه بهجة الانام : « في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الأمارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام » فلعله يعني القبر المنسوب إلى معاوية الصغير ، وقد أجمع سائر المؤرخين أن معاوية مدفون بمقبرة باب الصغير ، منهم ابن عساكر في تاريخه والنووي في تهذيبه وابن الحوراني في رسالته « الاشارات إلى أماكن الزيارات » وكثيراً ما يترجمون مشاهير العلماء وينصون على انهم دفنوا قرب معاوية بباب الصغير كما فعل النعيمي في كتابه « الدارس في المدارس » في ترجمة الامام شمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ فقد قال ما نصه : « ودفن بباب الصغير بالقرب من معاوية رضي الله عنه » .

وخلاصة البحث والتنقيب أنه لا يشك أحد من المؤرخين أن أول ملوك العرب معاوية بن أبي سفيان توفي ودفن في دمشق ، وليس من شك أنه في

مقبرة باب الصغير ، وقد اطمأن قلب مدير الآثار العلامة وقلبي بما ذكرته من الدليلين الأثري والعلمي انه القبر الذي اهتديتُ اليه وقرأنا حجربه.

وفي اليوم الثالث خفَّ معي لزيارته العلامة الدراكة وزير المعارف السيد عبد الرحمن الكيالي الذي نهض بمعارف الشام نهضة مأثورة مشكورة مع السيد عارف النكدي مدير العدل وعضو مجمعنا العلمي ، وفي اليوم الرابع بشرت صديقي الاديب البارع الكبير السيد خليل مردم بك عضو مجمعنا بذلك وكنا تعبنا معاً كثيراً في التنقيب عن قبره ، فذهبنا إلى باب الصغير وقبل دخول المقبرة دخلنا القبة الغورية القائمة في مدفن آل مردم ، وبجانبها قبتان مهدومتان فيها قبور يقال ان بها قبراً لمعاوية فلم نجد من الكتابة ما يدل على ذلك وإنما وجدنا كتابة تدل على دفن أمير شركسي يعرف باسم بهادر المالكي الناصري ، ثم سرنا إلى قبر معاوية زرناه وجاره المقدسي وما حولها من قبور العلماء والصالحين فجزم مثلنا بأن القبر الصحيح الذي اهتديت بأخرة اليه هو قبر خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**عز الدين التنوخي**



# المصاب العام، بوفاة السيد الامام

## محمد رشيد رضا

## ١٢٨٢ — ١٣٥٤هـ

## — ٢ —

## انكاره على رجال الدولة والحكام

أوتي السيد الفقيد من نور البصيرة، وسعة العلم، وشجاعة القلب، وظهور الحجة، وقوة اللسن، ما لم يؤته إلا الأقلون في كل عصر، وقد كان رحمه الله سريع الخاطر، حر البديهة، قوي الجواب، مفحماً ملزماً فيه، لا يبالي في سبيل الحق سطوة حاكم، ولا يخاف في الله لومة لائم، وانكاره على الملوك، والامراء، ورؤساء الحكومات، ورجال الدول والامم، أمر مشهور يعرفه كل من اطلع على مناره وقرأ مقالاته ومناظراته فيه.

واذا كان الله تعالى أعطى الولاية بشطريها — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — للرجال والنساء على السواء فقال: «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» وكان النساء في صدر الاسلام يعلمن هذا ويعملن به، فقد سمعت امرأة من قريش أمير المؤمنين عمر الفاروق يخطب على منبر النبي (ص) ويمنع أن تزيد مهور النساء على أربعمائة درهم،

فاحتجت عليه بقوله تعالى : « وآتيتم احداهن قنطاراً » فقال اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر .

قلنا إذا كانت النساء ترد على الخلفاء في ذلك العهد عملاً بهذه الآية الكريمة فهل يستكثر على صاحب المنار وهو امام في الدين والعلم أن ينكر على ملوك عصرنا فمن دونهم من الحكام ؟؟

كان له في صباه رحمه الله مع رجال العهد العثماني مواقف دلت على ثبات جنانه ، وقوة ايمانه ، وشدة صدقه وإخلاصه . فمن ذلك أن أول خطاب عام ألقاه في طرابلس الشام ، بحضور المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام (حسن باشا بن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره ) والعلماء وجميع رؤساء الحكومة وسائر الوجهاء :

شبه في خطابه الامة بالفرد منها ، والجماعات العاملة للمصلحة العامة فيها — ومنهم رجال الحكومة والدولة بأعضاء الفرد من رئيسية كالدماغ والقلب ، ومشاعر وآلات ، وقال : إنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام ، وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار ، وشبه العاطلين الذين لا يعملون عملا نافعاً لأمتهم ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقوله : « ولا التفات إلى سفهاء الاحلام ، المتكبرين بالأوهام ، الذين يحتقرون الزراع والصناع ، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية ، وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون ! » .

وقد خشي عليه استاذه الجسر من ذلك الخطاب الجريء ، ومن الحرية المفرطة التي ظهرت فيه ، في بلاد مستعبدة لا تملك حق القول للمصلحة العامة ، بَلْهَ العمل !! ولكن المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية ، وقد أثنى على الفقيد وقال : إنني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب ! وقد ذكر في كتاب المنار والأزهر أمثلة كثيرة لجرأته وشجاعته رحمه الله .

## اصلاحه في موطنه قبل هجرته الى مصر

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر إصلاح العامة مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فإن إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الامور لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى انه أدنى إلى اقناعهم ، وقد كان رسول الله (ص) ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول : كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ فالمذكر أو الواعظ أو المرشد هو كما وصفه بعض الاجلاء ملخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على ارشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وتراث الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، مائس كلاسامعيه بما يلائمهم من الاحكام ، بل هو العامل الاكبر في إخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه إذ ليس مسؤولا عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وامته » . أقول من لاحظ هذه الأوصاف ، وعرف ما قام به الفقيد العظيم من الاعمال ، وجدها منطبقة عليه تمام الانطباق واليك عمله في بلده :

بعد أن نال المترجم شهادة العالمية في مدينة طرابلس الشام ، عاد الى بلده القلمون ، وأخذ يقرأ درساً في المسجد يعظ الناس ويذكرهم فيه ، ويذهب الى مقهى لهم يجلسون فيه فيجمعهم ويخطبهم ، وكان فيهم أفراد تاركون للصلاة فاستتابهم ، وجعل للنساء درساً خاصاً في دارهم القديمة ، والزمن تغيير زي بما

هو أستر وأطهر ، فصرن يحافظن على الصلوات الخمس ، وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن ، وأما نساء اسرته المباركة ( بيت المشايخ ) فكن كلهن يصلين على معرفة ، اذ كن متفقهات في دينهن محتجبات كأهل المدن في زيهن ، متفوقات في تدينهن وأدبهن ، فكان يقرأ لهن بعض كتب الادب أو التاريخ أو المواعظ . وجملة القول : انه رحمه الله جدد عهداً في القلمون بالدعوة الاسلامية التي عمت الرجال والنساء والبنين والبنات ، وهكذا فليكن العالم المرشد .

يذكر الفقيد أن المعلم الاول الذي كان له أكبر التأثير في دينه وأخلاقه وعلمه وعمله هو إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي ، فهو من بعد أن طالعه كله لنفسه ، وأكثر من مراجعة بعض فصوله وأبوابه ، صار يقرأه درساً للناس في المسجد ويعظهم به ؛ والحق أن الإحياء هو كتاب وعظ وإرشاد ، يبحث في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، فيعلم العقول ، ويربي النفوس ، ويغذيها ببيان الحقائق ، ويحليها بالاخلاق الطاهرة ؛ ولا يكاد يوجد بين أيدي الواعظين كتاب من كتب الدين صالح لوعظ العوام من كل وجه ، كافل بما يحتاجون اليه من المسائل الدينية ، والشؤون المعاشية ، مثل هذا الكتاب ( على شرط تجريده من الزوائد ) فهو يذكر الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة في المباحث المعقودة في الباب ، ويردفها ببسط المراد من تلك الآيات والاحاديث ، ثم يذكر مراميها ، وحكم الأحكام وأسرارها ولطائفها ، ويضرب للناس الأمثال من سير بعض مشاهير الرجال وأخلاقهم . وقد كان شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله يقول : « ان من أنفع ما يقتبس منه موعظة المؤمنين ، مواضيع تنتخب من إحياء علوم الدين » . ثم اتفق أن تذاكر مع الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - أيام كان في ضيافته بمصر هو وصديقه الاكبر الاستاذ الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار عام (١٣٢١) واستطلع رأيه في هذا الموضوع ، فقال الاستاذ المفتي متأسفاً : « إن هذا الموضوع لم يصنف فيه ،

إلا أن أحسن ما لدينا لذلك هو الإحياء بعد تجريده » فعد استاذنا القاسمي ذلك من بدائع الموافقات ، واختصره في مجلد واحد سماه ( موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ) فمن قرأه وجد موعظته حسنة ، ودعوته حكيمة ، وحجته واضحة ، وتأثيره كبيراً .

## دخول شعر الفقيد وكتابته في طور جديد

نشأ الفقيد مولعاً بمطالعة كتب التصوف والادب ، ونظم الشعر في سن الحداثة ، وكان يحفظ الجيد منه ، ويميز بالسليقة بين الموزون وغيره ، وقد رثى شيوخه في علم الدين ، وأصدقاء والده وأسرته ، ومن أجلهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه ، والاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ، والمرشد الاكبر الشيخ أبي المحاسن محمد القاوقجي ، ولم يرث من وجهاء الدنيا إلا الامير أحمد حسان الايوبي ، صديق والده وأكبر وجهاء الكورة في جبل لبنان ، فقد نظم فيه مرثية دالية اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعري الدالية في فلسفتها ، ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي بها . وقد قال في مطلعها[1] :

إن المنية غاية الميلاد والنعش مثل المهد للاولاد!
والله قد برأ الخلائق للبقا بعد الفنا وزيارة الالحاد
والموت باب النشأة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

ثم قال بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد ، ومضارهما وقبيح عاداتهما :

أطبيعة ذا الحزن ليس يشذ عن ناموسه فرد من الافراد
أم ذاك مما أوجبته شرائع الأديان من هدي لنا ورشاد ؟
أم ذلك العقل السليم قضى على كل الشعوب بهذه الاصفاد ؟
كلا فليس الامر ضربة لازب لكنه ضرب من المعتاد
فاخلع سرابيل العوائد إن تكن ليست بنهج العقل ذات سداد

(١) المنار والازهر .

ونقلد الحزم الشريف كصارم كيما تنافح جيشها بجهاد
فانظر لموت الناس بالعين التي ترنو بها لولادة الاولاد
هاتيك مبدؤنا وهذا تمنـا طرفان مستويان للنقاد
بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

أقول : إن حزن القلوب وسكب الدموع على الاهل والمحبين أمر طبيعي لا يكاد يشذ عنه فرد من الافراد ، وفي الحديث « ان العين لتدمع ، وان القلب ليحزن » وان السيد الامام كان أشد الناس فجيعة بفقد استاذه الامام ( رحمهما الله تعالى ) وإنما غرضه ان هذه القوافل التي ترحل عن هذه المنازل هي أسمى من أن تزول في التراب زوال الهشيم من النبات ، وإن هذه الارض ليست دار إقامة دائمة ، ولكنها ميدان واسع المدى متنائي الاطراف أوجده الحكيم المبدع وجعل ما على وجهه زينة له ، ثم سخره للسلائل البشرية ودفعهم للعمل فيه ومكنهم من ذلك بما أودع فيهم من القوى الظاهرة والباطنة ، ثم هو ينشئهم النشأة الآخرة فيجازيهم بما كانوا يعملون : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » ? « أيحسب الانسان أن يترك سدى » ? وهذا هو معنى قوله :

بل آخر الطرفين خيرهما فخذ بالاعتبار به والاستعداد

ثم انه بعد اطلاعه على شؤون الاجتماع ، وسياسة العصر ، وبتأثير مجالس المرحوم والده مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه ( وعنده بعض أعداد جريدة العروة الوثقى ) ثم بتأثير صحبة استاذه العلامة الشيخ حسين الجسر ، ومطالعة المجلات العلمية كالمقتطف والطبيب ، مالت نفسه لإدخال المعاني العصرية في الشعر ، فكان مما نظمه في ذلك القصيدة التي سميت ( قصيدة الجاذبية ) وقد نشر أبياتاً منها في المجلد الاول من المنار ، والقصيدة الجمالية التي خاطب بها السيد جمال الدين الافغاني في السنة التي جاء بها الاستانة ، ثم نشرها في المجلد الثاني من المنار ، والقصيدة الشرقية التي عاتب بها الشرق على تأخره عن الغرب .

وكان آخر ما نظمه من الشعر ( المقصورة الرشيدية ) التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، وكان سبب نظمها اقتراح صنوه وزميله في طلب العلم ، ومذاكرات الادب ، الشيخ عبد القادر المغربي ، أن ينظم مقصورة يهنئه فيها بزفافه ، فنظم مائة بيت ونيف ، ثم بدا له أن يتمها في معارضته الدريدية بإبداعها معاني كثيرة في فلسفة هذا العصر ، وفنون الادب والاجتماع المناسبة له ، ولا سيما الاصلاح الاسلامي الذي وقف كل حياته على السعي له ، ثم هاجر الى مصر لأجله[1].

يتبع : محمد بهجة البيطار



(١) المنار والازهر (ص ١٨٤)

# آراء وأخبار

## هدية كريمة لمخطوطات قديمة

امتازت دار الكتب الظاهرية على سائر دور الكتب المعروفة بنوادر مخطوطاتها القديمة في الحديث خاصة ، وبعضها بخطوط مؤلفيها ، والمخطوطة المخدومة تحتفظ بقيمتها العلمية وإن طبعت ، لأنها تعين على تصحيح اخواتها في البلدان الاخرى قبل طبعها : إما بمعارضتهن عليها أو على نسخ خطية أو شمسية عنها ؛ وكثيراً ما يضطر العلماء الباحثون أو الطلاب الدارسون إلى مقابلة المطبوعة بالمخطوطة ، ولا سيما أن أكثر ما طبع في الشرق للتجارة كان طبعه بعيداً عن الضبط والاتقان ، فهو في حاجة حاقة الى المعارضة ليتمكن القارئ من فهم النصوص ، وجل ما طبع كالعقد الفريد وزهر الآداب ووفيات الأعيان وغيرها لا يزال في حاجة إلى إعادة طبعه لكثرة ما يشوب هذه المطبوعات من التصحيف والتحريف .

من أجل ذلك كانت هدايا المخطوطات أسنى قيمة وأجل خطراً من المطبوعات ، ومن هذه الهدايا النفيسة للمخطوطات هدية كريمة لعضو مجمعنا العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار تشتمل على أربعة وعشرين مجلداً مخطوطاً كتبت في القرنين السابع والثامن : منها ١٧ مجلداً من صحيح البخاري ، وفي آخر بعضها سماعات للشيوخ وقراءات مفيدة ، ويتحلى بعضها بما فيه من العلائم الدالة على الإتقان كعلامة الحموي وعلامة المستملي وعلامة مجموعهما وعلامة

أبي الهيثم ، وبقية المجلدات في الفقه والأصول والكلام ، وفي بعضها حواش وتعليقات كثيرة ، فجزى الله الاستاذ البيطار رافع راية السلفية في هذه الديار عن السلف والخلف خيراً ، ومن الحق وعرفان الجميل أن ننشر جريدة بأسماء كتب هديته الكريمة إلى دار الكتب الظاهرية وفي نشرها فوائد للعلماء والباحثين وهي :

١- الجزء الأول من صحيح البخاري مشكول كله وعليه تعليقات مفيدة آخره : باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله إلى قوله : كمل الجزء الاول من صحيح البخاري ( ولم يعلم تاريخ نسخه ) .

٢- نسخة ثانية كتب في أولها : الجزء الاول من صحيح البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه آخره كتاب الهبة وهو مخروم من آخره .

٣- جزء كبير جداً وفيه كراريس كثيرة شتى تحتاج إلى جمع وترتيب وفي آخره سماعات الشيوخ وكتب في القرن الثامن .

٤- الجزء الاول من صحيح البخاري كتب على جلده : بينه وبين ما بعده نقص نحو كراس وعليه سماع في القرن الثامن .

٥- الجزء الثالث ( كتاب ) الهبة مخروم من آخره .

٦- الجزء الثالث أيضاً أوله اقتربت بسم الله الرحمن الرحيم قال : مجاهد : مستمر : ذاهب وآخره : سورة الأنبياء عليهم السلام وهو مخروم من أوله وآخره .

٧- الجزء الرابع من الصحيح مكتوب في أوله النصف الثاني من الربع الثاني كتب في آخره : آخر الجزء الثاني أنجزه كتابة محمد بن علي بن محمد يعرف بالحمامي رحمه الله وكان ذلك يوم الاربعاء خامس وعشرين وثمان مائة للهجرة النبوية .

٨- الجزء الثاني وأوله : باب القراءة في المغرب وآخره : باب غسل الخلوق وهو بخط محمد بن علي الحمامي المتقدم في ٢٥ شوال سنة ٨١٩ هـ . وهو مقروء على الشيوخ ومضبوط بالشكل .

٩- الجزء الخامس أوله قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : وأقيموا الوزن .

بالقسط» و كتب في آخره : يتلوه إن شاء الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : كتاب الدعوات وذلك في شهور سنة ٨٦٣ . وفي آخره الحمد لله : بلغ الشيخ كمال الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح أعزه الله تعالى قراءة في شهر ربيع الاول سنة ٨٩٦ بمدرسة الشيخ أبي عمر رحمه الله تعالى .

١٠– الجزء السادس من الجامع الصحيح . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب سورة المائدة . آخره باب قول الرجل لصاحبه هل أعرستم الليلة ؟ الخ . وكان الفراغ منه على يد الفقير المعترف بالتقصير يوسف بن محمد بن أحمد بن الصيداوي ولم يؤرخ وكتب : يتلوه في السابع كتاب الطلاق .

١١– الجزء السادس أيضاً أوله بسم الله الرحمن الرحيم باب مناقب عمار آخره : يتلوه كتاب التفسير بخط ابراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي البردعي . وهي نسخة مصححة وعليها سماعات وقراءات .

١٢– الجزء السابع وقف الفقير أبو بكر بن سعيد الطرابلسي . أوله كتاب التفسير باب ما جاء في فاتحة الكتاب وسميت ام الكتاب لانه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة . وآخره : باب من لم يستطع الباءة فليصم ويتلوه باب كثرة النساء . وفي ذيله : الحمد لله بلغ صاحبه شمس الدين أبو عبدالله محمد بن شرف الدين سعيد ابن السقا الطرابلسي نزيل دمشق أعزه الله قراءة في مجالس آخرها سنة أربعين وثمانمائة .

١٣– الظاهر أنه الجزء السادس وكتب في أول (ص) منه تاسع التاسع وأوله كتاب الدعوات . وقول الله تعالى : « ادعوني أستجب لكم » . وآخره : باب الرجم بالمصلى : آخر ج ٩ يتلوه باب من أصاب ذنباً دون الحد وهو بخط البردعي المقيم بدمشق الرملي .

١٤– الجزء التاسع من صحيح البخاري وقف أحمد بن يحيى النجدي والمحل مدرسة أبي عمر في الصالحية . أوله : باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً . وآخره : باب المتعة التي لم يفرض لها . ويتلوه ( كتاب النفقات ) نهار الجمعة سابع عشر شوال سنة ٨٣١ .

١٥ — الجزء العاشر أوله : باب من أصاب ذنباً دون الحد فأخبر الامام فلا عقوبة عليه بعد التوبة إذا جاء مستفتياً الخ . . على يد ابراهيم بن ماجد بن عبدالله الرملي المقيم يومئذ بدمشق المحروسة ٢٦ شعبان سنة ٨٣٣ . آخره باب قول الله تعالى وتضع الموازين الى قوله . ص : كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . آخر ج العاشر على يد ابراهيم الرملي سنة ٨٣٣ بلغ سماع الشيخ الطرابلسي أبو عبدالله محمد بن الشيخ سعيد الطرابلسي .

## بالقطع الوسط

١٦ — الجزآن الثاني عشر من كتاب الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه . أوله : بسم الله الرحمن الرحيم باب قصة فاطمة بنت قيس . وفي آخره : بلغ مقابلة ولله الحمد والمنة . وقد فرغ من نسخه يوسف ابن محمد الحنفي الصالحي بدمشق بكرة الثلثا عاشر جمادى الآخرة سنة ٧٩٨ .

١٧ — جزء من البخاري بقطع الوسط أوله كتاب الاستئذان باب بدء السلام وفي أوله ما يأتي

حـ سـ صـ هـ

علامة الحموي علامة المستملي علامة مجموعهما علامة أبي الهيثم

وقف المرحوم الشيخ حسن بن خادم الجديتي على مدرسة شيخ الاسلام أبي عمر بالصالحية قدس الله روحه . وفي آخره : كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها الخ . آخر المجلد الثاني من صحيح البخاري يتلوه في أول الثالث : باب من استوهب من أصحابه شيئاً . وكتب في آخر صفحة : بلغ وما قبله مقابلة متقنة محررة حسب الجهد والطاقة على نسخة الجامع الاموي المعروفة بنسخة الشيخ عماد الدين بن السراج على يد أفقر عباد الله الى رحمته ومغفرته محمد بن زكريا الحواري .

١٨ — شرح المنهج للقاضي زكريا . مجلد ضخم بالقطع الوسط مخروم

آخره وعليه حواش وتعليقات كثيرة ·

١٩ — كتاب تنوير الابصار وجامع البحار تأليف الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ شهاب الدين بن تمرتاش الحنفي كتب بعد الألف (عقيدة الغيب) ·

٢٠ — جمع الجوامع وشرحه للمحلي في الاصول كتب بعد الألف ·

٢١ — الوقاية لصدر الشريعة ·

٢٢ — شرح السنوسية ٢٣ — شرح الجوهرة ٢٤ — حاشية الخيالي على العقائد ·

# حول تاريخ دمشق لابن عساكر

سأل الكتبي المعروف بدمشق الاستاذ أحمد عبيد المستشرق الكبير سالم الكرنكوي السؤال الآتي :

هل في المتحفة البريطانية نسخة من تاريخ دمشق لابن عساكر تكمل الخرم الذي وقع في النسخة المحفوظة في الظاهرية ؟ فأجابه بما نصه :

انه ليست في بلادنا نسخة من هذا الجزء ، ولكني أعلم أنه في خزائن الاستانة عدة نسخ وهي هذه :

١ — في خزانة عاطف أفندي رقم ١٨١٥ وهي المجلد الرابع من نسخة كاملة في ٧ مجلدات كتبت سنة ١١٥٥ تشتمل على ٦٥٤ ورقة ، والترجمة الاولى : أبو بكر عبدالله بن بشر والاخيرة ترجمة عبيدة بن أشعب ·

٢ — خزانة داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٦ وهي المجلد الخامس من ١١ مجلداً كتبت سنة ١١٠٤ تبتدئ بترجمة عاصم بن عبدالله الى عبدالله بن محمد بن وداد ·

٣ — خزانة داماد ابراهيم باشا رقم ٨٧٧ المجلد السادس من ترجمة عبدالله بن محمد بن سعيد الى ترجمة عبيد بن أحمد بن عبيد ·

٤- طوب قابوسراي في ١٢ مجلداً رقم ٣٨٨٧ ( المجلدات كلها تحت رقم واحد:
ج٥ من ترجمة شيبان بن الحارث الخ الى ترجمة عبدالله بن العباس بن هاشم ٤٨٦ ورقة
ج٦ من ترجمة عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد الى ترجمة عبدالرحمن بن عمر الخ ٤٤١ ورقة
ج٧ من ترجمة عبد الرحمن بن عبدالله بن المثنى الى ترجمة عدي بن حاتم الجواد ٤٧١
ورقة . لا تاريخ لكتابة هذه المجلدات ، وقد وجد فيها خط مالكها في سنة ١١١٥ .

لو كتبتم الى الاستاذ ريتر لا أشك بأنه يخبركم عن اجود نسخة إذ ليس لي معرفة أي النسخ أجود ، ولكن يسبق إلى ظني أن النسخة المحفوظة في السراي تفوق الاخريين ، ويمكن ان الاستاذ ريتر يحصل علي أخذ تصاوير شمسية للتراجم التي سقطت عن النسخة الظاهرية لأني حصلت بواسطته الفوطوغرافات عن عدة كتب كبار لتطبع بعد التهذيب بمطبعة دائرة المعارف الواقعة في حيدر آباد من بلاد الهند .

أما النسخ الموجودة في لندرة فقد نشرت بيان ذلك في مجلة المجمع العلمي منذ سنين وفي المتحفة البريطانية رقم ٥٣٨٩٧٣ نسخة في غاية الجودة بقلم المؤرخ الشهير محمد يوسف البرازلي بخط أندلسي كتبها في دمشق سنة ٦١٤ تبتدئ بترجمة عبد الواحد زيد الى ترجمة عبيدة بن أشعب .

ونسخة ثانية بقلم القاسم ابن المؤلف رقم ٩٠٥٣ قد نزع الخائن الذي سرق هذه النسخة من إحدى خزائن دمشق الورقة الاولى وهي من ترجمة لبطة ابن الفرزدق الى ترجمة محمد بن ادريس الشافعي الامام وهي صعبة القراءة لرداءة خط القاسم ، وفيها في الاول كل جزء سماع العلماء بينهم البرازلي المذكور .

نسخة ثالثة قديمة رقم ٩٣٦٠ من ترجمة سعيد بن عطية الى ترجمة سماك ابن الاحوص . وهذا المجلد مطبوع .

نسخة رابعة رقم ٣٣٢٥٠ من ترجمة أبي مجلز لاحق بن حميد الى ترجمة يزيد ابن الأدم وهو يزيد بن عمرو كتبت سنة ... وسبعمائة .

نسخة خامسة رقم ٧٣٤٨ من ترجمة عمر بن الخطاب الى ترجمة عمرو بن بحر الجاحظ ثم نسختان رديئتان في عنوان الاولى ... الجزء الاول ( كذا ) من

تاريخ ابن عساكر، ولكن هي من أواخر التأليف إذ فيها الكنى والالقاب، والثانية تبتدئ بترجمة الفرزدق الشاعر المشهور ولكن الكاتب الجاهل كتب فرودق بالواو كما ترى، والترجمة الاخيرة ترجمة حواء أم البشر، ولا فائدة في النظر إلى هاتين النسختين لكثرة الاغلاط فيهما ...

## خريجو الزراعة في مصر

من أخبار مصر أن مصلحة الاملاك الاميرية انتهت في هذا الشهر من بحث مشروع إقطاع الأراضي الزراعية في مصر لخريجي كليات الزراعة والمدارس الزراعية المتوسطة، ويقضي هذا المشروع المفيد بإعطاء خريج كلية الزراعة ٦٠ فداناً، وخريج الزراعة المتوسطة ٤٠ فداناً بشروط سهلة على أن تؤدى أثمان الأرضين في آجال طويلة.

ولعل هذا المشروع من أنفع المشاريع الزراعية وأتمها بركة على الأرض وزارعيها، ولا سيما العارفين بأصول زراعتها وإنباتها، ويظهر أن رجال الزراعة في مصر والشام مبتلون بمرض واحد، وهو أن لا يملكوا من الأرض شيئاً، فيضطرون الى هجر الارض والالتجاء إلى المدن طلباً لوظائف الحكومة، وقد يوجد اليوم في دمشق وأعمالها زمرة صالحة من علماء الزراعة، وجلهم من الموظفين الذين قد تجد الجمهورية السورية من يخلفهم في وظائفهم، ولكنها لا تجد من يقوم مقامهم في إحياء موات الارض وإنعاش الزراعة في بلادها، فعسى ان تحذو حكومتنا الشامية حذو الحكومة المصرية فتقطع خريجي المدارس الزراعية فيها مقداراً كافياً من أملاك الدولة، تستوفي في آجال طويلة أثمانها، وتنتفع حين تزرع وتغرس بما تجمعه من ضرائبها، فتجني من جناها، وتغنى بغناها.

# مطبوعات حديثة

## ابن عبد ربه وعقده [1]

**بقلم جبرائيل سليمان جبور**

يقع في ١٦٤ صفحة طبع بالمطبعة الكاثوليكية في بيروت

كتاب جيد الطبع على ورق صقيل قسمه مؤلفه الفاضل أقساماً خمسة :
تكلم في الاول منها (١—٩) على مصادر الدرس الثلاثة في العقد الفريد نفسه وشعر ابن عبد ربه ثم ما كتبه المؤرخون عنه . وقصر القسم الثاني (ص ٩— ٢٩) على حياة ابن عبد ربه فوفاها من الإسهاب والتحقيق ما أسعفت به المصادر المتيسرة للمؤلف . ثم بحث في القسم الثالث (ص ٢٩—١١٧) عن كتاب العقد فحلله فأحسن تحليله وذكر المصادر التي استقى منها مؤلفه وتعرض لقيمته من حيث التاريخ والدين والادب وأهم التحقيقات في هذا القسم ما تعلق بتسميته (العقد الفريد) وما دس في الكتاب على مؤلفه أو زيد بعد موته . ووقف القسم الرابع (ص ١١٧— ١٢٣) على نثر ابن عبد ربه ، والقسم الخامس (١٢٣—١٥٣) على شعره في مختلف الفنون . وختم الكتاب بفهرس منظم للاعلام الواردة فيه .

هذا وصف مجمل لبحوث الكتاب وسأشرع في الكلام على ما يلاحظ عليه بإجمال متبعاً ترتيب الصفحات :

١— استدل المؤلف (ص ١٨ وما قبلها) على أن صاحب العقد «كان يشرب الخمر ويحبها ويدعو اليها» بأشعار له في ذكر الخمر وصفتها والثناء عليها . ونريد هنا أن

---

(١) المجلة : كان هذا الكتاب قد أرسل للمجمع للتقريظ وقد عثرنا عليه اخيراً فلم نغفله من تقريظ ولو متأخراً .

ننبه إلى أن هذا شائع عند عامة الشعراء حتى الفقهاء منهم • فمن لوازم الشعر صفة النساء والخمر وإنا نخطيء كثيراً إذا اعتمدنا في درس حياة شاعر على ما يذكر في شعره من حب للنساء والخمر أو تمدح بالشجاعة وعفة النفس • والبون شاسع بين أقوال الشعراء عندنا وأفعالهم منذ الجاهلية حتى اليوم والذي يثبت شرب الخمر على صاحب العقد خبر مأثور أو رواية مشهورة •

٢ — ليس للمؤلف أن يأخذ برواية ( Ribera ) (ص٢٢) ما لم يعلم المصدر الذي استند إليه فكثيراً ما يكون نصيب خطرات النفس وجمحات الخيال أكثر من نصيب الحقيقة فيما يكتب أهل الغرب عن الشرق •

٣— زعم المؤلف ( ص٥٣) ان ابن عبد ربه « لم يستطع أن يتجرد من بعض النزعات والميول ولم يتجنب كثيراً من الأغلاط التي ارتكبها غيره » وأرسل حكمه هذا مجرداً عن الشاهد فلم يذكر شيئاً من النزعات التي سيطرت عليه ولم يلم بشيء من الاغلاط الكثيرة التي ارتكبها • والمؤرخ لا يرسل حكماً غفلاً من الشاهد والدليل •

٤— عقد فصلا بعنوان « نظرة كمسلم الى النصارى في الاندلس ص٧٥» فقرأناه فإذا به لا يتعلق بالنصارى ولكن بالفرنج ( الاسبان ) أعداء الدولة العربية فوصف الفرنج بالنصارى يصرف الذهن إلى أشياء لم يردها المؤلف • وإنما يرد على الخاطر حين تلاوة هذا العنوان الذميون الذين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وكنا نود أن يكون المؤلف دقيقاً في وضع الكلمة مواضعها •

٥— عرض المؤلف ص ٨٠ للقصة التي كانت بين صاحب العقد والقلفاط الشاعر واحتشم عن روايتها فقال « نسكت عن ذكرها لما فيها من بذيء اللفظ ••• وليس بلائق أن نذكر هنا هذه القصص » ونأخذ عليه أمرين أما الأول فانه لم يسكت عن ذكرها وأتى العمل الذي رآه غير لائق حين ذكر البيت :

ياغرس أحمد إني مزمع سفراً    فودعيني سراً من أبي عمرا !

ثم دل القارئ على المصدر حيث يرى القصة بتفاصيلها فلم نستفد شيئاً من هذه المظاهرة الورعة ! إلا تشويق القارئ إلى معرفتها فلو رواها كان الخطب أيسر • وأما الثاني فهو ان الامانة تقضي على من يتصدى لشرح ناحية من تاريخ الادب

أن يؤدي الاشياء على حقائقها التي هي عليها لأنه مؤرخ لا رجل تقاليد ورياء .

٦ — قال ص٨٤ : « إن ابن عبد ربه كان مولعاً بوجه عام في المعارضة سواء أكان فيها انتقاد أم لم يكن . وقد كان في كثير من شعره الذي ذكره في العقد معارضاً لشعراء تقدموه ..الخ » وظاهر أن المؤلف فهم من معنى معارضة الشعر : الانتقاد وليس كذلك وإنما المعارضة أن يجري الشاعر مع شاعر آخر في وزن قصيدته ورويها وموضوعها. وهي شائعة معروفة .

٧— استدل المؤلف من عدم ذكر توقيعات لأحد بعد المأمون على « أن الذي دس في المواضع السابقة قد فاته الدس هنا . وإن وقوف ابن عبد ربه عند المأمون ليحملنا على الظن أن أكثر الاخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس ممن عقب المأمون دست على ابن عبد ربه الخ » ولا يرد هذا كله لأنه من المعروف أنه ليس لأحد بعد المأمون توقيع يؤثر ويروى لضعف ملكات الخلفاء بعده وقلة بضاعتهم من علوم العربية .

٨— وازن بين نثر ابن قتيبة ونثر ابن عبد ربه وذكر نماذج ثم ذهب إلى تفضيل الثاني على الأول ص ١١٩ . والذي نراه نحن أن الامر على العكس وإن النماذج نفسها التي أوردها لا تؤيد رأيه . ويرد الامر في ذلك إلى الذوق والملكة ولكل امرئ منهما ما رزق .

٩— في الكتاب تطويل كان يحسن أن يتجرد منه . فالفصل الذي عقده لتشيع ابن عبد ربه والذي ملأ عشر صفحات (ص٦٠ — ٧٠) لا محصل له ، وهو غير وارد : لأن للتشيع مفهوماً اصطلاحياً لا يتحقق منه شيء في صاحب العقد ولا يشارك الشيعة في شيء من عقائدهم ولا تبرئهم من بعض الصحابة وكل ما في الأمر أنه يحب آل البيت ويشيد بذكرهم ومناقبهم الصحيحة وهذا يشاركه فيه كل مسلم والغريب أن المؤلف نفسه بعد أن يسود هذه الصفحات العشر يشعر بما قدمنا فيختم فصله بهذه الجملة : « ولعل تشيع ابن عبد ربه من النوع المعروف ( بالتشيع الحسن ) » .

وكذلك الامر في فصل « نزعته المغربية ص ٧٢— ٧٥ » فكان من الخير أن يطويه برمته إذ لا نزعة مغربية عند صاحب العقد كما قرر المؤلف نفسه .

ويلحق بما تقدم فصل ( نظره كمولى الى العرب ص ٧٧ — ٨٠ ) الذي حشر فيه المؤلف شبه شواهد لا تدل على شيء أبداً نقلها ابن عبد ربه وتكاد تكون في كل كتاب أدب وخاصة قصة الفقهاء الموالى فإن روايتها لا تدل على شيء في نفس ابن عبد ربه . والمؤلف نفسه يعترف بأنه لا يستطيع أن يجزم لأن صاحب العقد ناقل راوٍ ليس إلا . ففيم هذا التطويل اذن ؟

وهناك عدا هذه الفصول التي يجب حذفها تطويلات اخر نذكر منها مثالين : الاول : أن حاشيته على كلمة الصاحب « هذه بضاعتنا ردت الينا » من التكلف الذي لا داعي له إلا حب الاطالة فليس من فائدة للقارئ في رجوعه الى سورة يوسف . والثاني انه أعاد رواية واحدة لابن خلكان مرتين في عشرة أسطر ص ( ١٢٥ ) .

١٠ — كنا نحب للمؤلف أن يعرض كتابه على استاذ بصير يصلح له لغته ، وإليك نماذج من غلطات الكتاب :

| ص | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|
| ١ | الشهير | المشهور |
| ٢٤،١٥،١٣،١ | بالاخص | خصوصاً |
| ١ | بالأخيرة | بالأخير |
| » | قدميتها | قدمها ( لالزوم للنسبة وإن كانت غير خطأ ) |
| » | أثرت علي | أثرت في |
| ٥٠،٢٣،٢ | كما وأن | كما أن |
| ٣ | كلاهما قد استقيا | كلاهما قد استقى |
| » | لاسيما وقد | وقد ( لاسيما لا يجوز أن تأتي بعدها الواو ) |
| ٤ | لاسيما ونحن | ونحن |
| ٤ | وبالتالي لا نعلم | ولا نعلم |
| ١١،١٠ | عائلة | أسرة |
| ٢٠،١١ | عاصر | أدرك |

| ص | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|
| ١٥ | وقتاً لا بأس به | وقتاً كافياً أو صالحاً |
| « | المرجح عندنا نعم | المرجح عندنا انه كاد يشربها (لا يقع الحرف خبراً) |
| ٣٦ | دور | لعلها درر |
| ٤٣ | يخطأه | يخطئه |
| ٤٦ | وغيرها | وغيرهما |
| ٥٠ | امتاز عن | تفرد (أوناق على) |
| ٥١ | عدا عما | عدا ما |

| ص | خطأ | صواب |
|---|---|---|
| ٨٨ | بني هاشم | بني العباس |
| ٩٥ | أمتع لك | أمتع بك |
| ١١٤ | فهل لاي من هاتيه | فهل لاحدي هاتين |
| ١٢٤ | وما أنا | وها أناذا |
| « | وها أمامي صفحة | وها هي ذي أمامي صفحة |
| ١٣٦ | يحيطها | يحيط بها |
| ١٤٣ | (إنه) ذا نفس | ذو نفس الخ. |

وقد تجتمع الخمس من هذه الغلطات في بعض صفحة وتكون اثنتان في السطر الواحد ...

١١— فنتمنى أن يعاد طبع الكتاب وأن يزيدنا المؤلف بياناً عن ميزات الطبعات المختلفة للعقد كما اننا نلفت نظره الى ان صاحب العقد كثيراً ما يقول وفي كتاب للهند ثم ينقل نصوصاً هي في كليلة ودمنة التي بايدي الناس اليوم. انظر على سبيل المثال: (١: ٣٧) ، (٢: ٣١) ، (٢: ٤٣) الخ[1] وهي مسألة جديرة بالدرس والبحث.

١٢— عرضت أكثر ملاحظاتي لان الموضوع هام والكتاب نفيس مفيد والجهود المبذولة في تأليفه كبيرة مع اني كنت أود لو تريث في طبعه وتروى أكثر وأنا أرجو للكتاب الرواج وللمؤلف الفاضل اطراد النجاح وأن يتدارك هذه العيوب في طبعة ثانية إن شاء الله.

**سعيد الافغاني**

---

(١) العقد الفريد: المطبعة الازهرية ، الطبعة الثانية سنة ١٣٤٦ هـ.

# الفهرس الابجدي العام للمجلد الخامس عشر

صفحة

## حرف الألف



## حرف الباء



## حرف التاء



## حرف الجيم

صفحة

## ❋ حرف الحاء ❋



## ❋ حرف الخاء ❋



## ❋ حرف الدال ❋



## ❋ حرف الراء ❋



## ❋ حرف السين ❋



## ❋ حرف الصاد ❋



## ❋ حرف الطاء ❋



## ❋ حرف العين ❋

صفحة

## حرف القاف



## حرف الكاف



## حرف اللام



## حرف الميم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی